

مجلة الكلمة الطبية

العدد السابع

كلمة الكلمة

الخيار الصعب

امتلكت الأمة الإسلامية من مقومات الحضارة والرقى ما يجعلها تفتخر على سائر الشعوب والأمم، وهذا لا يعني التعالي على الآخر أو التعدي عليه، ولكنها حقيقة، يتلمسها القاصي والداني ممن لا يهمله سوى رصد هذه الحقيقة لا غير.

أما حالة التهافت التي خيمت على وضع المسلمين فكانت نتيجة طارئة بسبب تدخل قوى أخذت على عاتقها تدمير الركيزة الإسلامية للمسلمين من قوانين وأخلاق وآداب عبر ابتداع آلاف الوسائل والطرق لتحقيق مآربهم، وكانت مسألة دعم الحكومات الدكتاتورية وتوهمين قوى الشعوب الإسلامية مفتاحاً لباب اللجوء الذي شرعوه لاستقبال ما أمكنه من المهاجرين من هذه الدول الإسلامية، لتحقيق بعض المشاريع التي لا تخفى على غالبية المسلمين والمهاجرين بالذات ممن استوطنوا بعض بلدان الغرب، وما يهمننا في كل ذلك هي حالة الإذلال التي يتعرض لها المهاجر منذ خروجه من بلده الأم حتى دخوله (بلاد الحرية) حيث تستقبله التهم والأسئلة المحيرة ومن ثم الانتظار المريع والذي قد يدوم سنوات وبين الحين والآخر تطالعنا أخبار المهاجرين من كل البلاد الإسلامية الهاربين إلى (بلاد الأحلام) أو هكذا يطلقون عليها، فيتملكنا الاشمئزاز والقرع، فأغلب هؤلاء المهاجرين هم من المسلمين إن لم نقل كلهم والأمر المثير الآخر هي الطرق التي يسلكونها في محاولة الوصول إلى أهدافهم، حيث المجازفة بحياة الأطفال والنساء في عرض البحار والمحيطات وبأيدي سماسرة لا يعرفون الرحمة حيث شهدت شواطئ بحر إيجة وبحر المانش والمحيط الهادي مسارح لكوارث مروعة، أبطالها أطفال لم يبلغوا الحلم وعرفت الكثير من قضبان سجون ما وراء البحار بصمات لأتامل لا تعرف معنى الاضطهاد السياسي ولا أزمة الحريات، فكانت الزنانات المظلمة مأوى لهم، فمتى يا ترى تستيقظ الإنسانية على وعي أصالة روحها وطبيعة فطرتها الأولى، العدل، الإخاء، الحرية، المساواة، الأمانة، الصدق، العهد.. وكل المفاهيم الأخرى.. التي تخلق منها القواميس العالمية إلا قاموس الإسلام وقرآنه... ولن تحرر الشعوب حتى تعود إلى مركزية الصحراء في إشعاعها!

فمتى يعي الشرق مقولة: اعقلوا فالشمس تشرق من الشرق وليس من الغرب.

ونحن نرى أن هذه العودة الجديدة ستختلف عن منهج جذبها الأول الذي قام على فكرة الإشعاع، نحو جاكارتا، أو نحو مراكش وبرشلونة، وقرطبة، لاختلاف الشرط التاريخي وظرفيته.

إلا أن الألوان حان لتحدث حالة التوجه التلقائي بما أملتته الظروف المعاصرة التي خدمت إيصال الفكرة بعد الثورة المعلوماتية وأن الألوان للأمم كي تنقذ نفسها بعد حالة (اليأس من الأطروحات) وأن تعي حقيقة الصحراء

التي امتزجت رمالها بمفاهيم النبوة وقرآنها، الحقيقة التي بدأت مشارف التجمهر حولها تظهر بارزة وهو ما يسمى في الإعلام الحديث بالظاهرة الإسلامية، بعد أن أثبتت الإحصاءات أن العدد الأكبر في التحول العقائدي هو إلى الإسلام لذا لن نبقي إلا مع فلسفة (ولو بعد حين) وننتظر وفي قلوبنا (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون).

إلا أن هذا لن يأتي ناجزًا، إنما هو مرهون بالوعي الإسلامي وخطوته الفكرية التي يمكن لها أن تكسر شوكة الأطروحات الغربية وتبقى سنن الله أمامنا فمن قام للعالمية قامت معه بكل أقاليمها وحضارتها ومن نام لها اضطجعت إلى جنبه.. والموت أهون حينها، وهنا لا بد من طرح تساؤل منطقي، هو على من تقع المسؤولية في نشر هذا الوعي الإسلامي بين أبناء المهجر، وتمكينهم من إدامة التواصل مع تاريخهم الإسلامي وعواصمه الحاضرة، وهنا تكون المسؤولية مشتركة بين المؤسسات الثقافية والعلمية في البلدان الإسلامية وعلى المهاجر نفسه، حيث يمكن الاستفادة من وسائل الاتصالات المتوفرة في كل البلدان الغربية وتوظيفها لصالح الجاليات المسلمة هناك: كما أن إقامة المراكز والهيئات والبرامج الدينية في المناسبات الإسلامية كفيل بتوثيق صلة المهاجر المسلم بدينه وعقيدته ولمثل هذا فليعمل العاملون.

أسرة التحرير

تقويم الشهر

تقويم شهر شوال

اليوم السنة (هـ) المناسبة

١ --- أول أيام عيد الفطر المبارك

ويستحب فيه:

- الغسل ووقته من الفجر إلى وقت صلاة العيد.

- رفع الصوت بالتكبير.

- صلاة العيد.

- زيارة الإمام الحسين (عليه السلام).

- إعطاء زكاة الفطرة للفقراء.

٣ ٨ هـ غزوة حنين

روى الشيخ البهائي أن غزوة حنين وقعت في مثل هذا اليوم عام ٨ هـ وكان عدد المسلمين ١٢ ألف مقاتل استشهد منهم أربعة فقط وحنين وإد بين مكة والطائف تسكنه قبيلتا ثقيف وهوازن وقد اغتر المسلمون في بداية المعركة وأعجبته كثرتهم مما أوقعهم في كمين لأعدائهم ففر المسلمون إلا عشرة منهم ثبتوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) واستمرت المعركة حتى أنزل الله نصره على المسلمين.

٤ ٣٣٩ بداية الغيبة الكبرى للإمام الحجة بن الحسن (عجل الله تعالى فرجه)

وكان هذا اليوم هو وفاة السفير الرابع للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) علي بن محمد السمري (رضوان الله عليه) فكان آخر نائب للإمام (عجل الله تعالى فرجه).

٥ --- ولادة مريم العذراء (عليها السلام)

تذكر بعض الروايات أن هذا اليوم هو يوم ولادة مريم (عليها السلام).

٥ ٦٠ وصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة

في مثل هذا اليوم وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة كسفير للحسين (عليه السلام) وممهداً لثورته العظيمة، واستقبله أهل الكوفة أفواجاً أفواجاً وقرأ عليهم رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) ثم بايعوا مسلماً حتى بلغ عدد المبايعين ٨ آلاف نسمة ثم كتب مسلم إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وأخبره بببيعة أهل الكوفة وطلب منه القدوم إليها.

٨ ١٣٤٢ ذكرى هدم البقيع

في هذا اليوم قامت سلطات آل سعود بهدم مقبرة البقيع ونهب كل ما فيها من مجوهرات ولآلئ وفرش غالية فتحوّلت إلى ركام وأحجار، ولا تزال على حالها إلى يومنا هذا.

٨ ٣٧٢ هـ وفاة عضد الدولة البويهري

توفي في هذا اليوم في بغداد عضد الدولة البويهى ودفن إلى جوار مرقد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وعضد الدولة أكبر ملوك الدولة البويهية ومن آثاره المستشفى العضدي في بغداد ومشهد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في النجف وساهم في بناء مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء وكان أديباً بارعاً، ومن جواب له لوالي دمشق يقول فيه: (عزك عزك، فصار قصار، ذلك ذلك فاخش فاحش فعك فعك بهذا تهدأ)

٩ ١١٠هـ وفاة محمد بن سيرين

وهو صاحب (تفسير الأحلام) الشهير وقيل أنه كان معلماً لأولاد الحجاج وكان يسمع لعن الحجاج للإمام علي (عليه السلام) ولم يأبه ولكن عندما كان الناس يلعنون الحجاج في المسجد يخرج قائلاً: (لا طاقة لي على سماع شتم الحجاج).

١٣ ٩١١هـ ولادة زين الدين بن علي الشامي

وقد ورد أنه كان ينقل الحطب على حماره في الليل لعياله، ويصلي الصبح في المسجد ويشغل بالتدريس بقية نهاره، وله شرح للعبة الدمشقية أنجزها خلال ستة أشهر، وقد استشهد في ساحل البحر على طريق القسطنطينية.

١٥ --- رد الشمس لأمر المؤمنين (عليه السلام)

وهو اليوم الذي ردت فيه الشمس لأمر المؤمنين علي (عليه السلام) بالقرب من مسجد قبا في المدينة المنورة.

١٥ ٣هـ معركة أحد وشهادة عم النبي (صلى الله عليه وآله) حمزة

ذكرى واقعة أحد سنة ٣ هـ أرادت قريش أن تتأثر لهزيمتها في بدر فخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل إلى ضاحية المدينة، في البداية انتصر المسلمون، إلا أن مخالفة الرماة لأوامر النبي (صلى الله عليه وآله) بتركهم أماكنهم فتحت ثغرة استطاع أن ينفذ منها خالد بن الوليد مما أدى إلى تغيير الموقف، مع هذا ثبت الرسول (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وبعض الصحابة، واستشهد في هذه الواقعة ٧٠ صحابياً من بينهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

١٧ ٥هـ معركة الخندق

وترجع هذه التسمية إلى تحصن المسلمين بخندق حفروه حولهم واستمر ذلك إلى أن عبر عمر بن عبد ود العامري وجماعة ونازلوا المسلمين فلم ينازلهم أحد إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث قتل عمرو بن ود وهزم الباقيين وقال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين..).

١٨ ٣٦٧هـ مقتل عز الدولة الديلمي

في مثل هذا اليوم قتل عز الدولة الديلمي على يد ابن عمه عضد الدولة ويعتبر هذا الحدث من المغيبات التي أخبر عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) كما ورد عن ابن أبي الحديد في شرح النهج: (والمترف ابن الأجدم يقتله ابن عمه على دجلة) والمترف الأجدم هو عز الدولة لأنه كان صاحب لهو وشرب وكان أبيه (أجدم) أي مقطوع اليد وقد قتله ابن عمه عضد الدولة في قصر الجفن بالقرب من دجلة.

٢٥ ١٤٨هـ وفاة الإمام الصادق (عليه السلام)

توفي في هذا اليوم الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) سادس أئمة المسلمين ودفن في مقبرة البقيع وكانت آخر وصية له أنه (عليه السلام) قال: (اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة) فلما حضروا جميعاً.. فتح

الإمام (عليه السلام) عينيه وخاطبهم: (لا ينال شفاعتنا من استخف بصلاته). (راجع ملف المناسبات).

تقويم شهر ذي الععدة

اليوم السنة (هـ) المناسبة

١ ٦ هـ صلح الحديبية

ويصادف أيضاً ذكرى ولادة السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم (عليه السلام) سنة ١٧٣ هـ

٤ ١٢٥٨ م سقوط بغداد على يد هولاكو

يصادف في هذا اليوم سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ١٢٥٨ م وانتهاء الخلافة العباسية التي بدأت سنة ٧٥٠ م واستمرت ٥٢٤ سنة تعاقب عليها ٣٧ خليفة وجرت فيها مظالم لا تعد ولا تحصى بحق أهل بيت الرسالة (عليهم السلام) حتى قال فيها الشاعر:

والله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

٥ ٦٦٤ هـ وفاة ابن طاووس

وهو السيد رضي الدين علي بن موسى والذي ينتهي نسبه إلى الإمام المجتبي (عليه السلام) وله كتاب (كشف المحجة) وكان صاحب كرامة، ويعد من أهم الذين اعدوا أهم مصدر من مصادر أدعية آل محمد (صلى الله عليه وآله).

٥ --- رفع قواعد الكعبة

وقد تم هذا الأمر على يد أبو الأنبياء وابنه إسماعيل (عليهما السلام).

٥ ٨ هـ فرض الحج

وهو اليوم الذي فرض فيه الحج على المسلمين.

١١ ١٤٨ هـ ولادة الإمام الرضا

وهو الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا وقد عاصر هارون وأبنيه الأمين والمأمون، وكان المأمون قد عرض عليه ولاية العهد ولكن الإمام رفض، وفي نهاية الأمر قبل ولكن بعد فترة تزايد ارتباط الشيعة والعامّة من الناس بالرضا (عليه السلام) ففتنه المأمون إلى خطورة ذلك فدس إليه السم. وقد دفن (عليه السلام) في مدينة طوس.

١٢ ٣٣٦ هـ ولادة الشيخ المفيد

وهو أبو عبد الله محمد بن محمد البغدادي وكان فقيهاً بارعاً متكلماً وقد كان زاهداً... توفي ببغداد وصلى عليه الشريف المرتضى.

١٣ ١٩٩٩ م استشهاد آية الله العظمى السيد محمد صادق الصدر في العراق

يصادف في هذا اليوم ذكرى استشهاد آية الله العظمى السيد محمد صادق الصدر ونجليه على أيد القتلة المجرمين في نظام العراق

١٦ ٣٢٦ هـ ولادة الصاحب بن عباد

ولد في هذا اليوم كافي الكفاة الصاحب بن عباد، وهو أديب وشاعر ووزير ومن علماء الشيعة في عصره. توفي

في ٢٤ صفر.

١٧ ١٩٧ هـ إبعاد الإمام الرضا (عليه السلام)

أبعد الإمام الرضا (عليه السلام) في مثل هذا اليوم عن المدينة إلى العراق ثم إلى طوس في إيران.

٢٣ ٢٠٣ هـ شهادة الإمام الرضا (عليه السلام) على رواية.

في مثل هذا اليوم استشهد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في طوس بإيران على رواية.

٢٥ --- يوم دحو الأرض وولادة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام).

وهو اليوم الذي انسحبت فيه الأرضيين من تحت الكعبة ثم اتسعت، وربما كان أول موضع خلق في الأرض هو موضع الكعبة.

٢٥ --- خروج النبي (صلى الله عليه وآله) لحجة الوداع

يوم خروج النبي (صلى الله عليه وآله) لحجة الوداع

٣٠ ٢٢٠ هـ استشهاد الإمام محمد الجواد

في هذا اليوم وحسب المشهور في سنة ٢٢٠ يوم شهادة الإمام محمد التقي الجواد عليه السلام بسم دس إليه المعتصم، وذلك بعد سنتين ونصف من وفاة المأمون كما ذكر الإمام نفسه ذلك قائلًا: (الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً) وعند شهادته كان عمره الشريف ٢٥ عاماً وعدة أشهر، وقبره الشريف في الكاظمية خلف رأس جده الإمام موسى بن جعفر عليه الصلاة والسلام.

مفاهيم إسلامية

الأمانة في الإسلام

محمد الحسناوي

الأمانة.. أشفقت من حملها السماوات والأرض والجبال، وأبين أن يحملنها. وقال الإنسان: أنا لها وحملها!! فهل كان في حملها ظلوماً جهولاً؟

قال تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً)(١).

(إنا عرضنا الأمانة) أي الطاعة، وسماها أمانة لأنها واجبة الأداء، أو المراد الأمانة المشهورة (على السماوات والأرض والجبال فأبين) امتنعن (أن يحملنها) والمعنى أن الأمانة لعظمتها بحيث لو عرضت على هذه العظام وكان لها شعور لأبت من حملها، وذلك لثقلها، أو كناية عن ثقل الأمانة حتى أن أعظم العظام لا تتمكن من تحملها، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس. (وأشفقن) خفن (منها وحملها الإنسان) قبل أن يحملها، والقبول إما يراد به ما ركب في طبيعته من تمكن القبول والأداء، وأما القبول النفسي للأمانات الخارجية (إنه كان ظلوماً) لنفسه فلا يؤدي الأمانة (جهولاً) بحال نفسه فيظن أنه يتمكن من الأداء والحال أنه لا يفي بها(٢).

وأياً كان معنى الأمانة، فهي شيء عظيم خطير ومصيري، بدليل أن السماوات والأرض والجبال أشفقن منها وأبين أن يحملنها، وبأن الإنسان من خلال موقفه منها إما أن يرقى إلى أعلى عليين، أو أن يهوي إلى أسفل سافلين.

والمسلم قد يفهم الأمانة - بادئ ذي بدء - اسماً لشيء يُودع عند الآخرين ليحتفظ به ثم ليرده إلى من أودعه بالتمام والكمال. ويفهمها أيضاً صفة طيبة لمن يؤدي الأمانات إلى أهلها على الوجه الصحيح. وعلى الرغم من أن عامة الناس يفهمونها فهماً محدوداً، فإن للأمانة مفاهيم واسعة وعميقة ومتعددة، وهي إحدى الفروع الخلقية لحب الحق وإيثاره، وهي ضد الخيانة، وهي عفة عن المحارم، عفة عن المطامع، من دون أن يكون المدبر مدناً عند الناس. وهي أداء طوعي للحقوق والواجبات، وحفظ لكل ما استؤمن عليه الإنسان.

هذا من جانب الإنسان، أما من جانب الديان فهي سؤال وحساب وإدانة وجزاء، لكل ما أوكل أمره إلى الإنسان، وقد أعطى الإمكانيات والقدرات الكافية ليصح التكليف.

إنها التكليف! فالإنسان حينما قبل حمل الأمانة، جعلت نفسه التي بين جنبيه أمانة عنده ليعرفها بربها (فأصل

١ - الأحزاب: الآية ٧١ - ٧٣.

٢ - تفسير تبين القرآن، م ٣، للإمام الشيرازي (دام ظله).

الدين معرفته) وليطهرها من أدرانها (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)(٣) وليزكيها بالكمال الإنساني (قد أفلح من زكاها)(٤).

كل هذا من أجل أن يكون إيمانها وعملها الصالح مؤهلاً لها لدخول الجنة التي أعدت لها. ولكن الله عز وجل كلف الإنسان ومنحه مقومات هذا التكليف فسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً، تسخير تعريف وتكريم ليؤمن به ويشكره، ومنحه العقل قوة إدراكية يتعرف به على الله. فالإيمان أمانة في عنق الإنسان، يجب عليه أن يرد هذه الأمانة سالمة، بلا أن يشوبه، بخيانة الكفر والعصيان، ولقد كانت هذه الأمانة ثقيلة، بحيث أن أضخم المخلوقات لا تتحمل أن تقبلها، أما الإنسان الضعيف، فقد قبلها، لكنه يخون بها لظلمه وجهله (انا عرضنا الأمانة) أمانة الإيمان (على السماوات والأرض والجبال) ليقبلوها، بان توضع عندها أمانة الإيمان فيتحفظون عليها(٥).

- وأودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى رب الأرض والسماوات.
- وحرصاً على قيامه بواجب التكليف بعث الأنبياء والرسل وأنزل معهم الكتاب بالحق.
- كما منح الإنسان إرادة كسبية ليصح التكليف والابتلاء وليكون النجاح فيهما ثمن العطاء.
وإذا حُملت الأمانة كما ينبغي، تحقق الهدف من خلق الإنسان وهي (العبادة) التي هي طاعة طوعية تسبقها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(٦).
وكان النجاح والفلاح لأنه (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)(٧).

وبعد أن يكون المرء أميناً على نفسه من أن تقيل أو تزل، يمكن أن يكون أميناً على الخلق، و(أمانة التبليغ) هي الأمانة العظمى التي حُملت للأنبياء والمرسلين الذين هم أمناء وحي السماء وقد رعوها حق رعايتها، وأدّوها على الوجه المطلوب وقد ظهرت في عصورهم بطولات فذة، ومجتمعات فاضلة، مكنت قوى الخير من أن تنتصر على قوى الشر.

أما (أمانة الأداء) فقد أوكلت إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وأمناء الرسل. وقد أدى الأصحاب الكرام، والتابعون الأعلام، والعلماء العاملون المخلصون من بعدهم، هذه الأمانة، وحفظوا ميراث النبوة، وتحملوا المسؤولية وما تنصلوا منها وما تعللوا، وما اعتذروا وما ألقوا ذلك على عاتق غيرهم فكانت مجتمعاتهم بشكل أو بآخر امتداداً لعصور الازدهار والتألق.
لقد أخذ الله العهد على العلماء أن يبينوا الحق للناس ولا يكتُمونه وهذه هي (أمانة العلم). ولن يستطيع العلماء أداء أمانتهم إلا إذا كانوا علماء عالمين وعاملين مخلصين.
ومن مستويات الأمانة (أمانة الولاية) وهي تكمل أمانة التبليغ وأمانة الأداء. يقول عليه الصلاة والسلام:

٣ - البقرة: الآية ٢٢٢.

٤ - الشمس: الآية ٩.

٥ - تفسير تقريب القرآن، م ٣، للإمام الشيرازي (دام ظله) ج ٢٢.

٦ - الذاريات: الآية ٥٦.

٧ - الشمس: الآية ٩.

(صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدَا فسدَت الأمة، العلماء والأمرأء)(٨).

فالورع حسن لكن من العلماء أحسن. لقد قرّر النبي (صلى الله عليه وآله) مبدأ المسؤوليات على كل المستويات بدءاً من الأمير وانتهاءً بالأجير. فقد روى البخاري في صحيحه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: كلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيته. فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيّتها، والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيّته(٩) والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتم المكسور، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، والأرملة الوحيدة، وذو العيال الكثير، والرزق القليل، وأشباہهم في أطراف البلاد. قال الإمام علي (عليه السلام): (الإمام مسؤول عن العباد والبلاد)(١٠).

ومن فروع (أمانة الولاية) أمانة (التولية) وهي أن يوضع كل رجل في مكانه الصحيح اللائق به، وأن يسند كل عمل لصاحبه الحقيقي به.

فعن أبي ذر (رضي الله عنه) قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: (يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها)(١١). وأسند أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى رجل ولاية، فسأله ليمتحنه وينصحه ويوجهه: ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ قال: أقطع يده.

فقال الإمام علي (عليه السلام): (إذن، إن جاءني من رعيّتك من هو جانع أو عاطل فسأقطع يدك. يا هذا إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم ونستر عورتهم ونوقر لهم حرفتهم. فإن رضينا لهم ذلك تفاضيناهم شكرها. إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمسّت في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية).

ومن معاني الأمانة، أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً من خلال العمل الذي أنيط به، وأن يستنفذ جهده في إبلاغه تمام الإحسان، انطلاقاً من الإيمان بأن الله يسأل الإنسان عن العمل الذي وكل إليه، هل أداه كاملاً غير منقوص، أم كان فيه الخلل والتقصير؟ وهل نصَحَ أم غش؟ وهل أتقن أم أهمل؟ وهل أنصف أم ظلم؟ وهل أحسن أم أساء؟ وهل رحم أم قسا؟ وهل حفظ أم ضيَع؟ وهل أعطى أم منع؟ فالطالب أمانة في عنق المعلم، هل عنى بتعليمه وتقويمه، أم أهمل وقصر؟ وهل كان مخلصاً للحقيقة أم مزوراً ومنتحلاً لها؟ هل أخلص في عمله أم خان ضميره المسلكي وضيَع ما استودع؟ والمريض أمانة في عنق الطبيب، هل حرص على شفائه من دانه أم حرص على ابتزاز ماله؟ والموكل أمانة في عنق المحامي، فهل صدقه ونصحه؟

٨ - صحيح البخاري.

٩ - النسائي.

١٠ - نهج البلاغة.

١١ - صحيح مسلم.

والخصمان المتنازعان أمانة في عنق القاضي؟
والأبنية والمنشآت والجسور والطرق أمانة في عنق المهندس الذي صممها والمهندس الذي تسلمها، هل حفظ مال الأمة أم ضيعه؟
والصناعة والحرفة أمانة في عنق الصانع، هل أتقنها، وهل حسنّها، وهل طوّرها أم أهملها فكانت العيوب والنقصان وكان الخلل؟
علماً بأن إتقان الصناعة جزء من الدين قال الإمام علي (عليه السلام): (إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه)(١٢).
والشجرة والنبته أمانة في عنق الزارع، هل أحسن العناية بها كي تؤتي أكلها كل حين أم تركها تُهبّة للعطش والأمراض والأوبئة، فأنخفض الإنتاج وتضرر الناس؟
والمستهلك أمانة في عنق البائع، هل نصحه أم غشه في النوع أو الكم أو السعر؟
والمراجع أمانة في عنق الموظف، هل سهّل له طلبه ويسرّ له أمره، أم وضع العقبات والعراقيل، ليأخذ منه ما ليس له بحق؟
ويدخل في أمانة الأموال البيوع والديون والمواريث والودائع والرهن والوصايا والهبات وأنواع الولايات الكبرى والصغرى وغير ذلك.
ويدخل في أمانة الأعراض كفّ البصر والسمع واللسان واليد والغيبة والقذف.
ويدخل في أمانة الأجسام والأرواح كف النفس واليد عن التعرض لها بسوء من قتل أو جرح أو ضرر أو أذى.
ويدخل في الأمانة العلمية، وهي صحة النقل ونسبته إلى صاحبه من دون تحريف أو تزوير أو انتحال أو حذف أو زيادة أو تدليس.
ومن الأمانة صيانة حقوق الابتكار والاختراع، وعدم التقليد، وعدم العلامات التجارية.
ومن الأمانة صيانة الحقوق الأدبية والنتاج الأدبي والعلمي. وقد ورد في الحديث ما مضمونه: أن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه قلّت رعيته أو كثرت، حفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الزوج عن زوجته، والوالد عن ولده، والسيد عن خادمه، هل أقام فيهم أمر الله؟
يضيف بشارة لأولئك الذين حفظوا الأمانة (أمانة الواجب) ولم يضيعوها، قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله): (الأمانة غنى)(١٣).
فالأمانة كما ينص هذا الحديث من أسباب التوفيق في الأعمال. فالأمين العفيف المتقن الناصح الذي يؤدي واجبه كاملاً يكسب ثقة الناس، وهذه الثقة أكبر رأس مال يملكه الإنسان.
فالأمانة تغنيه عن السؤال وتغنيه عن الابتذال، والأمانة تحقق التوازن النفسي. وهي تكسب المرء ثقة وتجعله عزيزاً مرفوع الرأس.
ومن معاني الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها، ويسرد

١٢ - الكلمات القصار.

١٣ - البخاري.

أخبارها، فكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت، لاستهانة الناس بأمانة المجلس، وذكرهم ما يدور فيه. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة)(١٤).

وحرمت المجالس تصان، ما دام الذي يجري فيها مضبوطاً بحدود الأدب وشرائع الدين وإلا فليست لها حرمة. قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): (المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: (مجلس سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق)(١٥).

وللعلاقات الزوجية في نظر الإسلام قداسة، فيما يضمه البيت من شؤون بين الرجل وامرأته يجب أن تُسدل أستاره فلا يطلع عليه أحد مهما قرب.

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها.

وتطبيقاً لمفهوم الأمانة العلمية وتوضيحاً لما تقتضيه أمانة هذا الموضوع، فإن التقصير في أداء الواجب في كل الأعمال والحرف والوظائف، يدخل في الشبهة على المال الذي يكسبه المقصر.

لقد ظلّ من قصر الدين على أداء العبادات، من صوم وصلاة وحج وزكاة، ونسي أن ترك درهم من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام، وأن يمشي الرجل في حاجة أخيه خير له من صيام شهر واعتكافه، فمن أجل أن يسلم دين الرجل ينبغي أن يحرر دخله من الشبهات، ومن التقصير في أداء الواجبات، وهذه هي حقيقة الورع، وركعتان من ورع خير من ألف ركعة بدون ورع.

قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): (دع ما يُريبك إلا مالا يُريبك). وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من أحسن وإنياً - أي متعباً - في طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح الله راضياً عنه)(١٦).

١٤ - البخاري.

١٥ - النسائي.

١٦ - نهج البلاغة.

شاعر وقصيدة

السيد المرتضى إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق

عقيل الرماحي

العلماء علامات واضحة ومميزة في حياة الأمم والشعوب على امتداد التاريخ، وهم ينبوع الذي لا ينضب الذي تلجأ إليه تلك الأمم حين تخسر موارد العلم، ويزحف على أطراف ساحات معرفتها التصحر، ولا شيء يدعو إلى الفخر في حياة أية أمة أكثر من افتخارها بعلمائها، فبهم تتقدم وترتقي سلم المجد. وفي حياة أمتنا الإسلامية العديد من العلماء الذين أنجبتهم عبر تاريخها الطويل حتى طارت شهرتهم في الآفاق شرقاً وغرباً، ولا تزال حياتهم العلمية محط اهتمام الكثيرين لمعرفة أسرار حياتهم وسبر أغوار منجزاتهم العلمية.

وقليل هم الذين امتلكوا ناصية العلم والأدب في آن واحد ومن أولئك الشريف المرتضى.. فمن هو الشريف المرتضى؟

إنه السيد الشريف الأجل ذو المجددين الملقب بالمرتضى علم الهدى ويكنى بأبي القاسم، علي بن الطاهر النقيب ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى الأبرش ويعرف بالأصغر ابن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد بن علي الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن علي بن الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين. وأمه فاطمة بنت أبي محمد الحسن الناصر الصغير بن أبي الحسن أحمد بن أبي محمد الناصر الكبير الأطروش بن علي بن حسن بن علي الأصغر بن عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين (عليه السلام).

علم الهدى..!

كثيرة هي الألقاب التي تطلق على العلماء في حياتهم حتى لتغطي على أسمائهم الحقيقية أو توازيها وتبقى في ذاكرة الناس، ولا تعرف تلك الشخصية إلا بها أو معها ومن أولئك السيد المرتضى الذي لم يأت له اللقب الذي عرف به من عالم أو صديق مجامل بل من إمام معصوم وباب مدينة العلم وراية الهدى ويعسوب الدين ذلك هو جده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

نقل عن السيد العالم صفى الدين محمد بن محمد بن معد الموسوي بالمشهد المقدس الرضوي الكاظمي في سبب تسمية السيد المرتضى بعلم الهدى، أنه مرض الوزير أبو سعيد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم سنة عشرين وأربعمائة فرأى في منامه أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان يقول له: قل لعلم الهدى يقرأ عليك الفاتحة حتى تبرأ.

فقال: يا أمير المؤمنين ومن علم الهدى؟

فقال: علي بن الحسين الموسوي. فكتب الوزير إليه فقال المرتضى: الله الله في أمري فإن قبولي لهذا اللقب

شناعة عليّ.

فقال الوزير: والله ما أكتب إليكم إلا ما أمرني به أمير المؤمنين (عليه السلام).
فعلم القادر بالله بالقضية فكتب إلى المرتضى: تقبل يا علي بن الحسين ما لقّبك به جدك فقبل وسمع الناس بذلك.

الرضي والمرتضى على باب الشيخ المفيد

كان الشريف المرتضى أوجد أهل زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وحديثاً وشعراً وخطابة وجاهاً وكرماً وغير ذلك، وقرأ هو وأخوه الرضي على ابن نباته صاحب الخطب وقرأوا وهما طفلان كلاهما على الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (قدس سره) وكان المفيد رأى في منامه أن فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخلت عليه وهو في مسجده بالكرخ ببغداد ومعها ولداها الحسن والحسين (عليهما السلام) صغيرين فسلمتهما إليه وقالت: (علمهما الفقه) فانتبه الشيخ وتعجب من ذلك فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت إليه فاطمة بنت الناصر وحولها جواريتها وبين يديها ابناها علي المرتضى ومحمد الرضي صغيرين فقام إليها وسلم عليها فقالت: (أيها الشيخ هذان ولداي قد أحضرتكما إليك لتعلمهما الفقه)، فبكى الشيخ وقصّ عليها المنام وتولى تعليمهما، وأنعم الله عليهما وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل مما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا وهو باق ما بقي الدهر.

العلماء يتحدثون عن السيد المرتضى

لمعرفة مكانة الشريف المرتضى بين الناس عامة والعلماء خاصة فلا أصدق من أن يشهد له العلماء من الخاصة والعامة بمكانته العلمية والأدبية والتي تعطينا صورة ناصعة في معانيها ومدلولاتها على ما كان يتمتع به السيد المرتضى من مكانة راقية قل نظيرها خصوصاً ونحن نرى وبوضوح تام إجماع أهل الاتفاق والاختلاف عليها.

قال العلامة في الخلاصة والشيخ الطوسي في الفهرست في حقه ما حكي عنهما: فتوحّد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، متقدم في علوم مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر واللغة وغير ذلك، وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت.

وقال الشيخ الطوسي في حقه أيضاً: أكثر أهل زمانه أدباً وفضلاً متكلم فقيه جامع للعلوم كلها مدّ الله في عمره.

وقال القاضي التنوخي صاحب السيد المرتضى: إن مولد السيد المذكور سنة خمسة وخمسين وثلاثمائة، وخلف بعد وفاته المئات من مقروءاته ومصنفاته ومحفوظاته، ومن الأموال والأمالك ما يتجاوز عن الوصف، وصنّف كتاباً له يقال (الثمانين)، وبلغ في العلم وغيره مرتبة عظيمة، قد نقابة الشرفاء شرقاً وغرباً، وإمارة الحاج والحرمين والنظر في المظالم وقضاء القضاة، وبقي على ذلك ثلاثين سنة.

وقال ابن خلكان عند ذكره: كان بقية الطالبين، إمام علم الكلام والأدب والشعر وله تصانيف على مذهب الشيعة ومقالة أصول الدين وله ديوان شعر كبير، وإذا وصف الطيف أجاد فيه، وله كتاب الغرر والدرر مشتمل

على محاسن فنون تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك، وكان إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظاماؤها، صاحب مدارسها وجامع شاربها وأنسها.

وقيل أن المعري لما خرج من العراق سئل عن السيد (ره) فقال:

يا سائلني عنه لما جئت أسأله ألا هو الرجل العاري عن العار
لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

وعن الشيخ أبي جعفر محمد بن يحيى بن مبارك بن مقبل الغساني الحمصي أنه قال: لقد كان شيخنا عز الدين أحمد بن مقبل يقول: لو حلف إنسان أن السيد المرتضى كان أعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي أثماً، ولقد بلغني عن شيخ من شيوخ الأدب بمصر أنه قال: والله إني استفدت من كتاب الغرر مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو.

حوادث متفرقة

١ - يدعي البعض أن السيد المرتضى (رض) كان يبخل، ولما مات خلف مالا كثيراً وخزانة اشتملت على ثمانين ألف مجلد.

نعم، قد يكون أخوه السيد الرضي أسخى منه، إلا أن البخيل من يبخل بعلمه وهو أغلى من المال فكيف يوصف بالبخل وقد كان سخياً في علمه وجود به على من أراد.

كما أن التوقف على ما سنذكره من حادثة وقعت مع أحدهم تنفي وبدون أدنى شك ما نسب إلى السيد المرتضى من بخل.

حكى الخطيب أبو زكريا بن علي التبريزي اللغوي: أن أبا الحسن (علي بن أحمد بن علي الغالي الأديب) كان له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها فاشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً، وتصفحها، فوجد أبياتاً بخط بائعها:

أنستُ بها عشرين حولاً وبعته لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ولو خلّدتني في السجون ديوني
فقلت - ولم أملك سوابق غيره - مقالة مكوي الفؤاد حزين!

وقد تخرج الحاجات يا (أم مالك)***كرائم من رب بهنّ ضنين

فأرجع النسخة وترك الدنانير

٢ - يقول الدكتور عبد الرزاق محي الدين:

لقد رأيت في المرتضى أديباً وناقداً يعتبر في طليعة الناقدين وأديباً ناثراً يُعد من خيرة الأدباء (...). يسلك به في الشعراء الذين يملكون المادة الصالحة، والآلة المرفهة ولا يملكون القدرة على الانتفاع بهما من أجل تحويلها إلى بضاعة تدخل سوق الأدب فتصيب خطاباً بالغاً من تقدير ورواج. انتهى.

وعلى الرغم مما كان يملكه السيد المرتضى من قدرة أدبية وشاعرية فائقة إلا أن ذلك لم يمنعه من اللجوء إلى أخيه السيد الرضي حيث يقف به البحر.

يقول أبو الحسين النحوي صاحب الإيضاح: دخلت على السيد المرتضى طاب ثراه يوماً وكان قد نظم أبياتاً

من الشعر، فوقف به بحر الشعر فقال: يا أبا الحسن خذ هذه الأبيات إلى أخي الرضي وقل له يتمها وهي هذه:

سرني طيف سلمى طارقاً فاستفزني سميراً وصحبي في الفلاة رقوداً
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى إذ الأرض فقراً والمزار بعيداً
فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي لعل خيالاً طارقاً سيعوداً

فأخذتها ومضيت إلى السيد الرضي، فلما رآها، قال: علي بالمحبرة، فكتب:

فردت جواباً والدموع بـوادرٍ وقد آن للشمل المشتت ورود
فهيهات عن ذكرى حبيب تعرضت لنا دون لقياء مهمامه بيد

فأتيت بها للمرتضى فلما قرأها ضرب بعمامته الأرض وقال: يعز علي أخي يقتله الفهم بعد أسبوع، فما دار الأسبوع إلا وقد مضى الرضي إلى رحمة الله سبحانه، عليهما الرحمة والرضوان.

من مصنفات السيد المرتضى

لقد كان السيد المرتضى من طليعة المفسرين للقرآن الكريم بالرأي من الشيعة فقد كان غالبهم مفسرين بالآثر من قبل ذلك، وكان من السابقين في الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد في الفقه، وأسبقهم تأليفاً في الفقه المقارن وواضع الأسس لأصول الفقه، ومجلي الفروق بينها وبين أصول العقائد لدى الشيعة وسواهم.

ويعتبر السيد المرتضى مجدد المذهب الشيعي الإمامي وباعثه في القرن الرابع الهجري.

وللسيد المرتضى من تصانيف ومسائل البلدان شيء يشتمل على ذلك فهرسه المعروف بيد أنا نذكر هنا أعيان كتبه وكبارها:

١ - كتاب الشافي في الإمامة وهو نقض كتاب الإمامة من كتاب المغني لعبد الجبار بن أحمد وهو كتاب لم يصنف مثله في الإمامة.

٢ - كتاب الملخص في الأصول لم يتمه.

٣ - كتاب الذخيرة في الأصول.

٤ - كتاب جمل العلم والعمل.

٥ - كتاب الغرر والدرر.

٦ - كتاب التنزيه.

٧ - المسائل الموصلية الأولية الثلاثة وهي المسألة في الوعيد والمسألة في القياس وإبطاله والمسألة في الاعتماد.

٨ - مسائل أهل الموصل الثانية.

٩ - مسائل أهل الموصل الثالثة.

١٠ - كتاب المقنع في الغيبة.

١١ - مسائل الخلاف في الفقه لم يتمه.

١٢ - مسائل الانفرادات في أصول الفقه لم يتمه.

١٣ - الصرفة في إعجاز القرآن.

- ١٤ - كتاب المصباح في الفقه لم يتم.
- ١٥ - المسائل الطرابلسية الأولى.
- ١٦ - المسائل الطرابلسية الأخيرة.
- ١٧ - المسائل الحلبية الأولى.
- ١٨ - المسائل الحلبية الأخيرة.
- ١٩ - مسائل أهل مصر قديماً في اللطيف.
- ٢٠ - مسائل أهل مصر الأخيرة.
- ٢١ - المسائل الديلمية.
- ٢٢ - المسائل الناصرية في الفقه.
- ٢٣ - المسائل الجرجانية.
- ٢٤ - المسائل الطوسية لم يتمه.
- ٢٥ - ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت.
- ٢٦ - كتاب البرق.
- ٢٧ - كتاب الطيف والخيال.
- ٢٨ - كتاب الشيب والشباب.
- ٢٩ - كتاب تتبع الأبيات التي تكلم عنها ابن جني في أبيات المعاني للمتنبى.
- ٣٠ - كتاب النقص على ابن جني في الحكاية والمحكي.
- ٣١ - تفسير قصيدة السيد الحميري المذهبة.
- ٣٢ - مسائل مفردات نحو من مائة مسألة في فنون شتى.
- ٣٣ - المسألة الكبيرة في مضرة القول بالرواية وإبطال القول بالعدد.
- ٣٤ - كتاب الذريعة في أصول الفقه.
- ٣٥ - كتاب الصيداوية وكتب أخرى.

وفاته

توفي السيد المرتضى سنة ٤٣٦ هـ ودفن أولاً في داره ثم نقل إلى جوار جده الإمام الحسين (عليه السلام)
وقد نقل عنه قوله في وقت وفاته:

لئن كان حظي عافتي عن سعادتي	فإن رجائي واثق بحليم
وإن كنت من زاد التقية والتقى	فقيراً فقد أمسيت ضيف كريم

ركن الأسرة

الزواج الناجح...

المعادلة المتوازنة

علي عبدالله

يعتمد موضوع الزواج مجموعة مقومات يشترط توفرها بشكل خاص في الزوجين، وهي تهدف إلى إنجاح الزواج واستمرارية العلاقة بالمودة والرحمة. وبعض هذه المقومات شرعية وبعضها إنسانية اجتماعية وهي كالتالي:

التكافؤ

إن حالة التكافؤ بين الزوجين تشكل التوازن الطبيعي في العلاقة التي بينهما وتحفظ الكيان الزوجي من الانهيار والسقوط، والتكافؤ يبحث في مواضيع هامة من شأنها إلغاء جميع الفوارق والاعتبارات المصلحية بين الزوجين ولاسيما النظرة الدونية للرجل أو المرأة وفي أغلب الأبعاد المادية والأخلاقية. وأهم ما يبحث في موضوع التكافؤ هو التكافؤ الديني الواجب شرعاً أن يتوفر في الزوج والزوجة.

لقد اتفقت المذاهب الإسلامية أجمع على حرمة نكاح المشرك أو المشركة وبهذا يخرج البحث عن إيجاد حالة التوازن بين المسلم والمشركة أو بين المسلمة والمشرک بالدليل الشرعي الذي يقتضي الحرمة. قال الله تعالى: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون)(سورة البقرة: الآية ٢٢١).

وقد نزلت هذه الآية في مرقد بن أبي مرقد الذي بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مكة ليخرج منها أناساً من المسلمين وكان قوياً شجاعاً فدعته امرأة يقال لها عناق إلى نفسها فأبى وكانت (خليلته) من الجاهلية فقالت له: هل لك أن تتزوج بي؟ قال: حتى أستاذن رسول الله فلما رجع استأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في التزويج، فنزلت الآية.

إن الإسلام جاء ليُلغي جميع الفوارق اللونية أو العنصرية أو الطبقية ولا سيما في موضوع الزواج الذي هو عبارة عن الانسجام الإنساني المتعالي عن النظرات الدونية للبشر. والإسلام دائماً ما يدعو الإنسان نحو التكامل المادي والمعنوي بالتنافس الشريف المنطلق من قاعدة التقوى المنبعث من فهم الواقع ومعرفة متطلبات المستقبل، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ونعم العون على الدين الغنى ولا شرف كشراف العلم ولا يتقدم المفضل على الفاضل، كل هذه الأمور يقرها الشارع المقدس ويعتبرها نقاط قوة في شخصية الإنسان المؤمن وبهذا النموذج من الإنسان المؤمن استطاع المسلمون أن يقودوا الأمم نحو حياة

سعيدة لا تعرف الفوارق أو التمايز إلا ضمن دائرة الإيمان والتنافس الشريف، وهذه الدعوة تشمل الرجل والمرأة على حد سواء فالمرأة تستطيع أن تدخل جميع مجالات الحياة ولاسيما العلمية منها وقد تتفوق في كثيرها.

لقد نشرت رسائل إعلامية عن امرأة عربية متخصصة في فيزياء (البلازما) وهي الحالة الرابعة للمادة التي يقال أن كتلة اللون تتألف منها تلك المرأة هي (مها عاشور عبد الله) أستاذة الفيزياء في جامعة لوس أنجلوس في الولايات المتحدة الأميركية وقد تجاوزت هذه المرأة كل المستحيلات فاخترتها وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) مستشارة رئيسية في وضع خطة الأبحاث الأساسية في فيزياء الفضاء، وقد منحت جائزة نساء العالم الأميركي وذكرت بها المعروفة المشتركة مع أبرز علماء فيزياء الفضاء من فرنسا واليابان والصين وروسيا والمانيا أنها غالباً ما تجد نفسها المرأة الوحيدة في المؤتمرات العلمية الدولية وتعتقد أن النساء العربيات والمسلمات أكثر إقداماً على العلوم من الغربيات وأن نسبتهن في الكليات العلمية العربية لا تقل كثيراً عن الرجال، وإنهن لو أعطين الفرصة فسيحققن الكثير وتعد (مها) عالمة المصرية التي أصدرت إلى الآن ٣٢١٠ بحثاً من أبرز المتخصصين في ظاهرة الشفق القطبي الجوية المحاطة بالغموض والأساطير، ومها حفيدة فلاح من قرية غير بعيدة عن الإسكندرية في مصر.

في موضوع التكافؤ هناك بعض المواصفات لا يعتبرها الشارع مانعاً عن الزواج وإنما قد يكون لها تأثيراً سلبياً على علاقة الزوجين منها:

- ١- أن يكون الزوج فقيراً والزوجة غنية.
- ٢- أن يكون الزوج أمياً والزوجة متعلمة.
- ٣- أن يكون الزوج وضعياً والزوجة شريفة.
- ٤- أن يكون الزوج عاطلاً والزوجة ذا مهنة.

التفاهم

في العلاقات الزوجية يحتاج الإنسان أن يتحلى بالقدرة على التفاهم واللجوء إلى الحوار الهادئ والابتعاد عن حالة الهيجان النفسي والتوتر العصبي والانفعال السريع. وحالة التفاهم تتولد في أغلب حالاتها من الانسجام النفسي بين الزوج والزوجة ومن الشعور بالمودعة والرحمة بينهما وهذه من معطيات الزواج. وقال الله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (سورة الروم: الآية ٢١).

. وحالة التفاهم تتطلب من الزوجين عدة أمور:

- أ - المعاملة الحسنة: في مسيرة الحياة الصعبة يحتاج الإنسان إلى رفيق حياة يؤنسها، ويسكن إليه ويؤازره في مصائبه ولاستمرار هذه العلاقات يجب أن تكون المعاملة بين الطرفين بالحسنى ووفق الأخلاق الإسلامية الحميدة، يقول الإمام علي (عليه السلام): (بحسن العشرة تدوم المودة).
- والمعاملة الحسنة ينبغي أن يكون أساسها الحب المتبادل لأنه يقوي رباط الزوجية ويدعم كيان الأسرة، ولأنه يبعد الزوجين عن الكراهية وحب النفس وسوء الظن والغيرة المفرطة.

ب- التنازل: إذا كان التنازل في العلاقات العامة أمر حسن فهو في علاقة الزواج أحسن، ذلك أن التنازل يتطلب من الإنسان أن يتخلى عن ذاتياته وأهوانه وهذا ليس بالأمر السهل الحدوث بين الناس فكل إنسان يتمسك بموقفه ورأيه وتبقى حالة التوازن في القوى مرتبطة بمعيار الأقوى والأصلب. أما في العلاقة الزوجية الذي يكون فيها معيار القوى غالباً ما يميل لصالح الرجل فقيمة التنازل تتوضح جلياً.

إن القيمومة الزوجية بيد الرجل وهذه قوة يمنحها الشارع المقدس له وعليه فلا بد أن يحسن الرجل استخدام هذه القوى وبمنطق العقل. وينبغي للزوجين أو أحدهما أن يعلم أن التنازل هو التمهيد المنطقي لحل هذه المشكلة ومنع حدوث الكوارث التي تهدد الكيان الزوجي بالانهيار والدمار. ومن نافلة القول أن التنازل ليس معناه التخلي عن المواقف الخاطئة عند الإقرار بها، إنما هو يعني التخلي عن الموقف السليم الذي يراه أحدهما أو كلاهما وذلك للحفاظ على الدفء السامي وهو الزواج. وبشرط أن لا يناقض التنازل القيم الدينية والسلوكيات الأخلاقية.

بالطبع قد يولد التنازل الشعور بالانهزام أو الإخفاق أو ضعف الفهم الحياتي والوعي الكامل لحرمة الكيان الزوجي وعليه فالفرق المتنازل في سبيل الحفاظ على استمرارية الزواج هو الفرد القوي العاقل. وفي المقابل لابد أن يكون التنازل متبادلاً حتى تسير قاطرة الزواج في الحياة بأمان وتوازن، أما أن يكون أحد الزوجين متنازلاً والآخر متعنتاً دائماً فهذا يهدد العلاقة بالانفصال يوماً ما. ويجب على الزوجين أن لا يدققا في القضايا الهامشية كقضايا الأكل واللبس وأن لا يجعلها نقاط اختلاف قد تؤدي في النهاية بعلاقتهم القوية إلى الانقطاع.

إن الحياة الزوجية مدّ وجزر من سعادة وشقاء وفرح ورخاء ونشوة، والزوجان يشاركان بعضهما البعض في تحمل أعباء الحياة عن رضى النفس، ولا يمكن أن يعتبر أحد الزوجين عملية التنازل مثلاً، لأن التفكير بهذه الطريقة يحطم العلاقات الزوجية ولا يبنّيها.

ج - المرونة: إن المشاكل الكبرى في الزواج تنشأ من أمور صغيرة فتتجمع وتتكاثر لتشكل جبلاً من المشاكل والفتن. إن المرونة في التعامل كسب كبير لديمومة العلاقة فهي تتفادى الأخطاء وتحول المواقف المحرجة أو المؤلمة إلى مواقف سهلة الهضم والامتصاص.

في البداية نقول أن على الزوج أو الزوجة أن يغض الطرف عن كثير من الأخطاء والنواقص السلبية حتى يتجنب حدوث المناوشات. والمرونة بمعناها الواسع تعني القدرة على تحقيق الأهداف بالطرق المختلفة بالفطنة والكياسة أو بالمدح والثناء أو بالعتاب في بعض الأحيان وهذه الصفة يجب أن يتحلى بها الزوج بصفة خاصة وأن يكون مرناً في تعامله مع زوجته. إن المرونة في التعامل لا تحتم أن يستجيب الزوج لكل شيء، إنما تجعله قادراً على تغيير الموضوع أو تمشيته بنكتة أو ابتسامة أو بوعده غير محدد بأمدة أو أخذ الأمور بصورة جادة أو الهجوم الكاسح لرأي الطرف المقابل فهذا لن يتولد عنه إلا التنافر والتخاصم.

وحيثما تكون الزوجة مرنة في القول والفعل سوف تكبر في نظر الزوج لأنها في صفتها هذه قادرة على إيجاد ثمة مبررات لمواقف زوجها الخاطئة وسوف تحاول أن تهديه إلى الصواب.

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (وأما حق الزوجة فأن تعلم إن الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأنساً فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها) (من

لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦٢١).

وخلاصة القول إن التماس العذر للآخرين والغض عن الهفوات والزلات وعدم التدقيق الممل في العلاقات كل ذلك حثّ عليه الشارع المقدس واعتبره من الصفات التي تحافظ على إدامة العلاقات بين الناس ولاسيما العلاقة الزوجية، ولأن تعاليم الإسلام تحمل كل هذه القيم وتحثّ عليها، وتعتبرها من صلب الالتزام الديني، فإنه نجح في خلق تماسك اجتماعي وأسري وعائلي في المجتمعات الإسلامية مغاير لما هو سائد في المجتمعات الأخرى. إذ على الرغم من حالة التراجع السياسي والاقتصادي والتكنولوجي للعالم الإسلامي، إلا أنه قاوم تحدي التفكك الاجتماعي بفضل تعاليم وقيم الإسلام، ولأن عالم الغرب نحى قيم الدين المسيحي جانباً، فإنه ورغم تطوره العلمي والتفني يئن الآن تحت وطأة التفكك الأسري والاجتماعي، وغياب البعد الأخلاقي، بشكل حفز قسم من مفكري الغرب إلى إطلاق صيحات عالية من أجل وقف هذا التدهور وهو لن يستطيع لأن أنظمتها فاقدة أساساً لأسس التكافؤ والمرونة التي رعاها الإسلام.

المصادر

- ١ - بناء الأسرة الفاضلة. عبد الله أحمد.
- ٢ - الزواج المبكر. محمد كاظم.
- ٣ - الزواج والاستقرار النفسي. د. ذكريا إبراهيم.
- ٤ - مكارم الأخلاق. الطبرسي.

ركن الأسرة

المرأة المسلمة ودورها في بناء المجتمع النموذجي

محمد ثابت

الإنسان هذا الكائن الراقي الذي حملته الأساطير القديمة رمزاً للفهم، وتناقلته القصص والروايات الحديثة كمؤسس وبان للحضارة، عانى ما عانى حتى وصل إلى هذه الدرجة من الوعي بما يؤهله لولوج عوالم الفكر، ومن ثم أخلاق النهضة الواعية للإنسانية جمعاء.

الإنسان بشقيّه - الرجل والمرأة - لم يصل إلى هذه الدرجة من الوعي اعتباطاً أو صدفة، وإنما مرّ بالكثير من الأدوار العصبية وتصارع مع جملة من العوامل وتضارب في صراعه مع نفسه، حتى وصل إلى هذه الدرجة. وكانت رحمة الله أكبر من أن تحصي، حين أرشد ودلّ الإنسان إلى كثير من مواطن المعرفة والعلم عبر إرسال الأنبياء والمبشرين والرسل الصالحين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين). وكان خاتمهم سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله) خير مرشد وخير مبشر للبشرية جمعاء.

لقد انحصر فهم الغرب للدين الإسلامي عن طريق ما نقلته لهم العصبية المسيحية وما حاكته لهم اليهودية من قصص وخرافات، تصور المسلم على أنه متعصب أو متعنت أو جلاّد أو همجي، وغيرها من الصفات التي كانت شائعة في أوروبا إبان القرون الوسطى، حيث صورت تلك الجهات المعادية للإسلام الدين الإسلامي على أنه ديناً غير قادر على إعطاء مبدأ التكافؤ الاجتماعي أية أولوية ولا أدنى تقديم.

ويمكن القول أن مسألة المرأة وحقوقها هي مثار للجدل بين أوساط تلك الجهات - ومن عامة الشعوب الغربية - من خلال تصدير الشائعات والحكايات والقصص ضد المرأة المسلمة، بدءاً بالحجاب وطريقة ارتدائه وانتهاءً بتعدد الزوجات والتي أصبحت موضحة يشكلها الغرب وفق قصص وحكايات وبأشكال عدة في جلساته. إن الإسلام أخذ بعين الاعتبار صلاح المرأة وكرامتها، وسنّ لها من الحقوق ما يتفاوت مع حقوق الرجل حفاظاً لفطرتها وعواطفها، وإبقاءً على شخصيتها وكرامتها (١٧).

إن الدين الإسلامي قد أعطى للمفاهيم الاجتماعية - والأسرية خاصة - قيمة وثوابت ملموسة من خلال جملة من النصوص القرآنية المعروفة التي تنوعت لغة طرحها من قبل الله (سبحانه وتعالى).

فقد أجبر الإسلام المسلم تارةً على تطبيقها ونصح تارةً أخرى وأرشد ودلّ في مرات عدة الإنسان المسلم إلى واجباته إزاء المرأة المسلمة، ومن ثمّ من تلك الواجبات تنطلق لإنشاء المجتمع النموذجي وسط ركام المجتمع الذي كان سائداً في العرب - ومكة بالأخص - كونها كانت مهداً للإسلام في صدره أو ما نطلق عليه المجتمع الجاهلي.

وحتى لا نظلم المجتمع الغربي بأجمعه - وأقصد مفكره وكتابه وعلماءه المشهورين - فإن بعض هؤلاء قد

١٧ - كتاب: القانون ص ٧٣، لسماحة الإمام الشيرازي (دام ظله).

انتبهوا إلى قيمة ما يدعو إليه الدين الإسلامي، فعكفوا على قراءته ودراسة قرآنه وتتبع السير والتواريخ الإسلامية.

فالفيلسوف الإيرلندي الساخر (برناردشو) مثلاً، يقول في إحدى كلماته التي يصف فيها الدين الإسلامي وجانبه الاجتماعي بالأخص:

(لقد كنتُ دائماً أكنُّ غاية الاحترام لدين محمد بسبب حيويته العجيبة. وفي رأيي إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يملك الاستعداد للتلاؤم ولتوجيه الحالات المتنوعة للصور الحياتية المجتمعية المتغيرة، ولمواجهة العصور المختلفة. وإنني لأتنبأ أن دين محمد سيكون محل قبول أوروبا غداً).

فهو يصرح بأهلية الدين الإسلامي ومقدرة تعاليمه الاجتماعية على بناء مجتمع نموذجي قادر على إعطاء كافة الحقوق لمستحقيها وأخذ المستلزمات منهم.

ولكن لم تنته التفاتات (برناردشو) حول عدم وصول الدين الإسلامي إلى أوروبا إلى هنا بل إنه وضع يده في أكثر من تصريح على العلة التي شوهت تعاليم الدين الإسلامي وصوره في أوروبا والغرب قاطبة، ووضعت الحواجز والسدود أمام سيوله حيث يقول:

(إن رجال الدين في القرون الوسطى - نتيجة للجهل والتعصب - قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة اللون فقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكن قد اطلعت على أمر هذا الرجل فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية بل يجب أن يُسمى منقذاً للبشرية. وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو إليها البشر).

شهد القرن السابع عشر تحولاً فكرياً في المفاهيم الاجتماعية في الغرب بولادة كتابات (جان جاك روسو) و(مونتسكيو) و(فولتير) والذين دعوا إلى:

(أن الإنسان يستحق مجموعة من الحقوق والحريات بالفطرة وبأمر الخلق والطبيعة، هذه الحقوق والحريات لا يمكن لأي فردٍ أو جماعة سلبها عن فردٍ أو جماعة آخرين).

إلى غير ذلك من أفكارهم التي بقيت مرهونة ومحبوسة داخل كتبهم وورقهم، فرغم قداسة وجمالية هذه الخطوة إلا أن المجتمع الغربي لم يأخذ بها وبما احتوته من أفكار ومفاهيم إيجابية وبقيت النظرة الدونية للمرأة الأوروبية هي معششة في عقول الرجال الأوروبيين:

يقول (ويل ديورانت) صاحب الكتاب الشهير (قصة الحضارة): (حتى عام ١٩٠٠م لم يكن القانون في أوروبا يجبر الرجل على احترام المرأة)(١٨).

أما (ألبرماله) فقد صرح في كتابه التاريخي المعروف بـ(تاريخ ألبرماله): (حين كانت الحكومات لا تهتم بأحوال العمال ولا تلقي بالاً إلى ما كانوا يلقونه من معاملة سيئة من قبل أرباب العمل، كان أصحاب المعامل يستخدمون النساء والأطفال القاصرين بأجور زهيدة، ولما كانت ساعات العمل كثيرة فقد كان هؤلاء يقعون فريسة سهلة للأمراض المختلفة ويموتون وهم في سن الشباب).

لقد تأخر الغرب الذي يسوق نفسه على أنه نموذج متقدم ومتطور في أفكاره، ويتهم الأفكار والممارسات

الإسلامية على أنها دعوة إلى الرجعية والتقهقر.. لقد تأخر في تشريع قانون يعطي للمرأة بعض الحقوق والواجبات ضمن المجتمع الغربي حتى العام ١٩٤٨م حيث أقرت الأمم المتحدة قرار مساواة المرأة مع الرجل، بعد أن نادى الإسلام بفكرة المساواة قبلها بأكثر من ١٣٥٠ سنة. وحتى هذه المساواة الفضفاضة بقيت محل دراسة الكثيرين من الكتاب والمفكرين لوجود عدة ثغرات فيها بدءاً من سبب إطلاق هذه المساواة والتي يرجح (ديورانت) أسبابها إلى أصحاب المعامل والمصانع مثلما ذكرنا.

حيث يقول ديورانت: (كانت التعاملات أقل أجراً من العمال وكان أصحاب المعامل يفضلونهن على الرجال لكثرة تمردهن، فقبل قرن من الزمان كان الحصول على عمل في إنكلترا أمراً عسيراً على الرجال، لكن الإعلانات كانت تدعو الرجال إلى إرسال نسائهم وأطفالهم إلى المعامل، وكانت أول خطوة في تحرير جداتنا تتمثل في قانون ١٨٨٢م إذ بموجب هذا القانون أصبحت نساء بريطانيا يتمتعن بميزة لم يسبق لها مثيل، وهي حقهن بالاحتفاظ لأنفسهن بالمال الذي يكسبونه.. هذا القانون المسيحي الأخلاقي وضعه أصحاب المعامل. ومنذ ذلك العام وحتى العام الحالي، أدى البحث عن الربح الذي لا يُقاوم إلى أن تتحرر النساء من العذاب والاستعباد في البيت لتصبح رهن العذاب في المتجر والمعمل)(١٩).

من هنا تكتمل صورة حقيقة المساواة عندنا وتتجمع خيوط شبكة فلسفتها. فالمساواة بين الرجل والمرأة في المجتمع الغربي والمتأخرة زمانياً، لم تأت لتطيب خاطر المرأة وإنما نشأت الفكرة من نوازع نفعية لأصحاب المعامل والمصانع، وبعدها أخذت بالانتشار دون أخذ مسببات نشوئها في الحسبان.

ولحد الآن ما زال الغرب يستغل المرأة بذريعة المساواة وحقوق الإنسان، وما زال أصحاب المعامل والمصانع يعرضون سلعهم ومنتجاتهم على جسد المرأة الغربية مروّجين لها بحرية المرأة وتحريرها من العبودية!!.. والرجل الغربي - النموذج المقلد له في بعض مجتمعاتنا للأسف الشديد - استغل هذه الحالة لينحدر في فسقه وفجوره حداً لا يُوصف. كيف لا، والمساواة تجلبُ له سكرتيرة تقضي معه أكثر من نصف يومه؟! وحق مساواة الرجل مع المرأة توجد له خلية تقضي معه نصفه الآخر؟! دون الحاجة إلى تحمل واجبات ومستلزمات الزواج والأسرة وتربية الأولاد.

كما أن تحويل المرأة إلى سلعة استثمارية عبر زجّها في الإعلان عن المنتجات الصناعية وغيرها، واستغلالها إلى أقصى حد لتحقيق أقصى أرباح ممكنة، ومن ثم رمي أداة الإعلان كباقي الأدوات المستعملة الأخرى... وضع هذه المساواة موضع الشك لا يخفى على كل ذي بصيرة.

إن المرأة الداخلة في الميادين المختلفة معرضة للفساد حيث يطمع بها كل إنسان مستهتر والمستهترون كثيرون في المجتمع، وإذا كانت المرأة معرضة لأغراض هؤلاء انزلقت على الأكثر - وانزلاقها يعني سقوطها، إذ الانزلاق لغير ذات الزوج يوجب عدم رغبة الشباب فيها، والانزلاق لغير ذات الزوج يوجب هدم العائلة، وفي كلتا الحالتين تبقى المرأة وحيدة في الحياة، وتكثر العوانس والمنحرفات، وتلك أكبر جريمة بالنسبة إلى النساء، ولذا ترى الغرب قد أباح الاختلاط وأدخل المرأة في كل الميادين، فكثرت العوانس وقل الزواج وكثر الطلاق، وقد تحملت المرأة المسكينة عواقب كل تلك المآسي والويلات.

ولهذا فإن الدوائر المعادية للإسلام تحاول جاهدة تصدير حرية الشهوات والغرائز إلى المجتمعات الإسلامية في خطوة لتحقيق عدة أهداف أولاها دفع هذه المجتمعات لتصل إلى مرحلة الانحلال، وقد نجحت هذه الخطوة في بعض المجتمعات الإسلامية.

بينما نجد أن الإسلام قد أعطى للمرأة المسلمة هدفاً سامياً لا نجد له نظيراً في الأديان والشرائع الأخرى، حيث جعلها نواة تكوين الأسرة وفرض لها الاحترام والتبجيل حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (الجنة تحت أقدام الأمهات).

فالقانون الإسلامي يساوي الذكر مع الأنثى في كل الأمور إلا موارد خاصة استثنائية قطعية مثل الإرث لقوله تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم مثل حظ الأنثيين) وما أشبه ذلك. وكل مورد ثبت الاختلاف فيه فإنه تابع لميزان علمي دقيق مذكور في فلسفة الأحكام (٢٠).

٢٠ - كتاب: حوار حول تطبيق الإسلام، ص ٦٨، لسماحة الإمام الشيرازي (دام ظله).

ركن الأسرة

تأديب الأطفال بالأسوة والسلوك

عبد الحكيم السلوم

تعتبر عملية تأديب الأطفال من الأمور التي تركز عليها جل العملية التربوية في الإسلام حيث أن مفردات هذه العملية تتنوع تبعاً للإرشادات الواردة عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) فلو أخذنا النظافة مثلاً نجدها وقد أكدت عليها العديد من الروايات فينبغي أن يكون طفلك نظيفاً، والأمر يستلزم أن يتسم الوالدان بالنظافة ويراعيا شروطها. لقد أكد الإسلام على النظافة حتى اشتهر بين الناس القول المأثور: (النظافة من الإيمان).

إن الإسلام لا ينظر في مسألة الثياب واللباس إلى نوعها وقيمتها، بل يفضل ما قلّت قيمته، ولكن الذي يؤكد عليه هو نظافة الثياب، وعدم لبسها وسخة. أما من يهمل شروط النظافة في ملبسه ففي إسلامه وإيمانه نقص، لارتباط النظافة - مطلق النظافة - بالإيمان.

حيث من روائع الإسلام في تأكيده على نظافة ما يلبسه الإنسان ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: (غسل الثياب يذهب الهم والحزن، وهو ظهور للصلاة). وقد قال تعالى: (ثيابك فطهر) أي ارفعها ولا تجرّها (٢١).

فإذا كان طفلك وسخاً، ويضع يده المتسخة بلا مبالاة على وجهه، فإن ذلك يؤدي تدريجياً إلى تمكّن هذه الصفة في سلوكه وشخصيته، ويؤدي إلى آثار ضارة على شخصيته.

لقد اشترط الإسلام على الوالدين أن يلتزما في سلوكهما حدود الآداب العامة في النظافة، وفرض مسؤولية تأديب الأطفال على شروط النظافة على الوالدين أنفسهما. فإذا دخل الأب المنزل ورأى طفله وسخاً وثيابه كذلك، ويديه ملوثتين وفي عينيه القذى، فإنه لا يميل نفسياً إلى تقبيل طفله. من هنا تنبع مسؤوليات الأمهات في تهيئة الأطفال قبل مجيء الوالد ومراعاة شروط نظافتهم ونظافة ملابسهم، حتى إذا جاء الأب ودخل المنزل فسينجذب نفسياً إلى طفله ويأخذه بالقبلات والأحضان، فيذهب التعب عنه. إن تأديب الأطفال على شروط النظافة في أجسامهم وملابسهم ينبغي أن يتم مبكراً منذ الطفولة والصغر، فلو اتسمت حياة الطفل المبكرة بالإهمال في شروط النظافة، فإن هذا الإهمال سيرافقه إلى مراحل العمر الأخرى، ويكون من الصعوبة عليه أن يتخلص منه. فإذا لم يتعود الطفل منذ صغره على النفور من الملابس الوسخة فإنه سوف يألفها عند كبره، ولا يبالي وهو رجل إذا اتسخت ملابسه الخروج بها أمام الناس. ولن يبالي أيضاً وهو يدخل البيت بحذانه المتسخ والمملوء بالطين، وسيدوس به الفراش دون أن يبالي.

ومن الطبيعي أن تقع جزء من مسؤولية هذه التصرفات على الوالدين اللذين قصرّا في تربية الطفل وتأديبه

على النظافة وهو صغير.

الانتباه إلى النفس قبل الدخول في المجالس العامة

إنّ الإنسان لا يكون ملزماً وجوباً بكسب الشخصية، ولكن محرّم عليه أن يهدر شخصيته لأي سبب كان. فلو أهمل الإنسان - مثلاً - شروط النظافة، فإنّ الأذى سيلحق بشخصيته الاجتماعية، فيكون التهاون في مُراعاة شروط النظافة محرماً.

ويقول تعالى في مُحكم الكتاب العزيز: (يا بني آدم خُذُوا زِينَتَكُمْ عند كل مسجد) (٢٢). ولقد كان من سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه إذا أراد الخروج من المنزل، فإنّه يستعد لذلك بالنظر إلى المرأة. حتى ورد في بعض الروايات أنّ عائشة لاطفته بقولها: إنّ الزينة ليست من شأن الرجال، فأخبرها أنّه يُحافظ على مظهره اللائق في الملبس والعطر وغير ذلك، لكي يجنّب نفسه غيبة الناس، إذ لو خرج بشكل مُنفر لأوجب ذلك غيبة الناس له، فيكون بإهماله شريكاً لهم في الذنب. إنّ هذه السنّة النبوية تعلمنا التشدد في التزام شروط النظافة، من نظافة الثوب والبدن إلى التزيّن والتطيّب. ولو تجاوزنا كل ذلك لرأينا أن بعض الأحاديث التي تتحدث عن سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تُفيد استخدامه لعطر خاص. ورد في الحديث عن الإمام الصادق (ع): (إنّ الله تعالى يحب الجمال والتجمل ويكره البؤس والتباؤس. وإنّ الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى عليه أثرها). قيل وكيف ذلك؟ قال: (ينظف ثوبه، ويطيّب ريحه) (٢٣).

ومن أروع ما ورد إسلامياً في الطيب قول النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): (الرائحة الطيبة تشد القلب) (٢٤). وثمة تأكيد في أحاديث سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على استخدامه - والأنبياء عليهم السلام - للطيب، فمن ذلك ما ورد في الحديث: (أربع من أخلاق الأنبياء: التطيّب والتنظيف...) (٢٥). إنّ الإسلام لم يؤكد اختيار أنواع معينة من الألبسة، ولكنه أكد على نظافة الملبس. وورد في بعض الأحاديث التأكيد على لبس البياض، وقد تكون العلة في ذلك أن الوساخة تبين سريعاً في اللباس الأبيض فيبادر الإنسان إلى خلعه وغسله سريعاً، بعكس الألوان الغامقة التي تتحمل الأوساخ أكثر من اللون الأبيض. حيث في استحباب الملابس البيضاء ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قوله: (ليس من ثيابكم شيء أحسن من البياض فألبسوه وكفنوا فيه موتاكم) (٢٦). وثمة إشارة أخرى ينبغي أن لا نهملها في إطار الحديث عن النظافة، نظافة الجسد واللباس، وهي تأكيد

٢٢ - الأعراف: الآية ٣١.

٢٣ - مكارم الأخلاق، للطبرسي: ٤١

٢٤ - مكارم الأخلاق، للطبرسي: ٤١

٢٥ - مكارم الأخلاق، للطبرسي: ٤٠

٢٦ - مكارم الأخلاق، للطبرسي: ١٠٤

الإسلام على الأغسال المستحبة، بالإضافة إلى الأغسال الواجبة.

إنّ الإسلام يؤكد على دور الأغسال المستحبة في الكثير من المناسبات، في ليالي القدر، والأعياد، وعاشوراء، وغيرها، وهي إشارة لها مغزاها الكبير في حرصه على نظافة أتباعه. لذلك حري بنا أن نحرص على التزام شروط الظهور الاجتماعي المناسب من خلال رعاية النظافة في الجسد والملابس، لكي يكون هذا الالتزام خطوة على طريق تهذيب أطفالنا وتأديبهم على شروط النظافة والصحة في أبدانهم وملابسهم وطعامهم.

رعاية آداب الطعام

من الآداب التي يجب الالتزام بها وتعليمها للصغار وتربيتهم عليها هي مراعاة آداب السُفرة. إذ لتناول الطعام آداب كثيرة كتب فيها العلماء، فالعلامة المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار ممن كتب في ذلك. ومن آداب الطعام تصغير اللقمة، وهنا تقع المسؤولية على الوالدين في تعليم أطفالهم ذلك، وتوجيههم نحو هذا الأدب، وفي غير ذلك فإنّ اللقمة الكبيرة قد تلفت نظر الآخرين وتدعوهم إلى الضحك على صاحبها، وبالتالي تقود إلى الإضرار بشخصيته. لذلك يجب تصغير اللقمة وهضمها بتؤدة وهدوء.

ويحصل لبعض الأفراد أن يتناولوا الطعام في المجالس العامة بشكل مُلفت للنظر، كأن يأخذوا اللقمة كبيرة ثم يتلعونها بقليل من المضغ، وكأنهم يلعبون الطعام بلعاً. وعلاوة على ذلك يقومون بالتحدث مع الآخرين والطعام في فمهم مما يؤدي إلى خروج بعض أجزائه ووقوعها على طعام الآخرين.

إنّ هذه الممارسات مذمومة إسلامياً. ولو أردنا أن نحلل أسبابها لوجدناها تكمن في إهمال الوالدين لأمثال هؤلاء وهم صغار، وعدم رعايتهم وتعليمهم الآداب الواجبة في ذلك.

الإسلام مثلاً يقول لك: افتتح الطعام بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) وإذا مضغت اللقمة بشكل جيد وهبطت إلى المعدة، فقل (الحمد لله رب العالمين) ومعنى ذلك أنّ على الإنسان أن ينتهي عن الكلام أثناء الطعام مهما كان لون هذا الكلام.

ومن الظواهر الشائعة في هذا الاتجاه ما نلاحظه من البعض في سوء تناول الطعام، إذ يضع رأسه في الإناء، أو يتساقط الأكل من أطراف فمه وهو لا يهتم بذلك.

من الآداب الواردة في الطعام غسل اليدين. وفي ذلك ورد عن الإمام الصادق قوله عليه السلام: (من غسل يده قبل الطعام وبعده بورك له في أوله وآخره، وعاش في سعة، وعوفي من بلوى في جسده).

ومما ورد أيضاً في آداب السُفرة قول الصادق (عليه السلام): (وأما التأديب فالأكل مما يليك، وتصغير اللقمة، والمضغ الشديد، وقلة النظر في وجوه الناس)(٢٧).

لذلك نجد أنّ السبب الرئيسي في هذه الظواهر وغيرها هو تقصير الوالدين وإهمالهم تعليم أطفالهم للعادات الصحيحة في الأكل والشرب وآداب السفرة، وحينما كان يبدر منهم ما هو خطأ ومخالف للآداب كان الوالدان يلتزمان الصمت أو الإهمال، وهذا الصمت والإهمال يقود في المستقبل إلى الظواهر المنحرفة والخاطئة وإلى هدر شخصية الطفل وهو كبير.

آداب المجالس

أثناء التأمل في المجالس العامة نجد أنّ البعض لا يحسن الكيفية الصحيحة في الجلوس والتي تنطوي على تأدب واحترام للمجلس ومن فيه وقد تساعد في تكريس هذه الظاهرة بعض أنواع الملابس خصوصاً الضيق منها الذي يمنع صاحبه من الجلوس على أربع.

إنّ السبب الأساسي في مثل هذه الظواهر يعود هو الآخر إلى إهمال الوالدين وتقصيرهم في تعليم أولادهم وهم صغار أصول وآداب المجالس العامة.

البعض يجلس في مجلس عام ولا يكفّ عن تحريك يديه أو العبث بلحيته أو يمد يديه إلى عينيه أو أنفه. وهكذا لا يستطيع أن يجلس مستقراً هادئاً وقوراً.

إنّ هذه الأشكال الخاطئة تقع مسؤوليتها - أيضاً - على الوالدين، فالكبير، شاب من صغره على هذه العادات الخاطئة فلو كان الوالدان قد تصديا لنهيه وتأديبه وتوعيته على أضرارها الاجتماعية لانتهى عنها صغيراً. وإلا فمن الصعب معالجة العادات المتأصلة عند الكبر.

وإنّ من أسوأ ما تشهده بعض الأوساط الاجتماعية في مجالسها العامة، هو ما يقوم به البعض من العبث بأنفه بأصابعه!!

يقول أحد الخبراء الاجتماعيين: إنّ الإصبع بالنسبة للألف بمثابة الزوج لزوجته، لذلك لا ينبغي أن يجري الاتصال بينهما إلا في الأماكن المستورة.

تشبيه جميل ولا شك، إذ من غير اللائق أدباً أن يترك الإنسان نفسه على سجيته، فتراه في مجلس عام يقوم بالعبث بأنفه بواسطة أصابعه، الأمر يزداد سوءاً في الأماكن العامة والتجمعات وعلى موائد الطعام.

لقد كان الأولى بالوالدين أن ينبّها أولادهم منذ الصغر على خطورة هذه الظاهرة الخاطئة وآثارها الذميمة على شخصية الإنسان ومكانته الاجتماعية، خصوصاً أثناء الطعام وأثناء مجالسة الآخرين.

لا بد من التأكيد على الأهمية الكبيرة التي أكدها آية الله العظمى، السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)، على أهمية تربية الأولاد وتأديبهم ورعايتهم من قبل الوالدين، لما لذلك من آثار مهمة على سعادة الأولاد في مستقبل حياتهم ومصيرهم الأخروي فقد ورد في كتاب ظلال الإسلام، للسيد محمد الحسيني الشيرازي، وفي كتاب العدالة الإسلامية أيضاً الحث على التربية الإسلامية للأطفال.

ففي ص ١٢٧ من كتاب في ظل الإسلام: إذا نشأ الولد نشأة إسلامية، فإنه لا بد أن يبرّ أبويه ويحسن عشرة إخوانه وأهله، وبذلك يظل على العائلة رفاه ومودة وهدوء واطمئنان، فينتفع الوالدان بولدهما، كما ينتفع الولد بوالديه.

فقد ورد في الحديث الشريف: (حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه) وكذلك قول أمير المؤمنين (ع): (لا ميراث كالأدب) (٢٨).

وما أروع ما جاء في الديوان المنسوب إلى الإمام علي في قوله عليه السلام:

٢٨ - كتاب في ظل الإسلام، للسيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) ص ١٢٦ ص ١٢٧.

ليس اليتيم الذي قد مات والده إنما اليتيم يتيم العلم والأدب

الخلاصة

إن الصفات الرذيلة تعكس صفو الحياة، وتجنني على صاحبها قبل أي إنسان آخر.
لذلك فإن النداء إلى الأمهات والآباء، أن يحذروا من أن ينشأ صغارهم على الصفات الغير صحيحة والسينة،
وأن يكبروا عليها، فالمسؤولية في ذلك تقع عليهم وتتناط بدورهم في التربية والتثذيب!

ركن الأسرة

شعر الطفل بين الفطرة والتوجيه

سامي البغدادي

للشعر وقع خاص في نفوس الأطفال منذ الأيام الأولى للولادة، فالأطفال يحبون الشعر، ويضطربون لأنغامه وإن لم يفهموه في سنيهم الأولى، وتحرص الأم على هدهدة طفلها بالكلمات الموزونة المقفاة ذات اللمن والإيقاع، ويشعر الطفل عند ذاك بالرضى والارتياح وقد ينال على هذه الأنغام الحلوة. وعندما يكبر يحفظ بعض الأشعار ذات البهور القصيرة.

ويستفاد الطفل كثيراً من سماع الشعر وحفظه، إذا كان مناسباً من ناحية ألفاظ الشعر وموسيقاه وصوره الفنية. وذلك يعتمد إلى حد كبير على موهبة الشاعر وثقافته وتجربته، وتفاعله مع التجربة الحية النابضة وتفاعله مع إحساس الطفل وفهمه.

ويمكننا أن نجل الصفات المناسبة لشعر الأطفال في الآتي:

- ١ - الحرص على اللغة الشعرية عبارةً وصوراً.
- ٢ - الاهتمام بالبهور ذات الإيقاع الساحر الجذاب.
- ٣ - يسر الأفكار والمعاني وسهولتها.
- ٤ - اختيار موضوعات تتناسب وواقع الطفل واهتماماته الإسلامية.
- ٥ - وضع أغاني الأطفال في التلفاز والمذياع تحت توجيه علماء الدين والنفس والتربية، لأن الأطفال يحفظون تلك الأشعار.

٦ - وحدة القافية لما فيها من آثار داخلية في نفسية الطفل.

وقد عرف الشعر العربي نماذج من الشعراء الكبار الذين ألفوا قصيدة الطفل من أمثال أحمد شوقي الذي يعد رائداً في هذا المجال وقد دعا الشعراء الآخرين للحنو وراءه في هذه التجربة وجاء الشاعر (محمد الهراوي) بعد شوقي وأعطى شعر الطفل أهمية أولى في سلسلة أولويات شعره ثم جاء كامل كيلاني وغيرهم.

نماذج من شعر الأطفال

إن الإجلال الذي يتوارثه الطفل المسلم نحو الله وقرآنه، إجلال عميق، نلحظه على ألسنة المحدثين، ونسمعه من القراء، حيث يعم الخشوع والإنصات، وحيث تتوارد الحكمة القدسية والآداب الربانية فيقول الشاعر الإسلامي:

قرآن ربي

هدى ونور

لكل قلب

قرآن ربي

وفي نشيد (لبيك) ينتقل الطفل المسلم إلى رحاب الحرمين الشريفين في مكة المكرمة، حيث بيت الله العتيق ومعالم ولادة ونشوء الدعوة الإسلامية التي قادها رسول الله الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله).. ويبدو من كلمات النشيد أنه كُتب في موسم الحج حيث يردّد الحجاج (لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك) إذ أن الشاعر استثمر هذه الفرصة، أي موسم الحج، وكتب هذا النشيد ليحبّب هذه الشعائر الإسلامية العظيمة في نفوس الأطفال المسلمين، ولتبقى معهم، يحفظونها بنشيد إسلامي تربوي رقيق يكبر معهم عاماً بعد عام، فلا ينسونه:

إلهنا ما أعدلك	لبيك لا شريك لك
يا ربنا دعوتنا	لبيتك الحرام
لتزدهي قبضتنا	براية الإسلام
وترتوي أرواحنا	بالحب والسلام
ندعوك يا من قد ملك	لبيك لا شريك لك

جننا يمرّ خطونا	على خطي (محمد)
لنستعيد أمسنا	ونسعد للغد
فهذه أمّتنا	شدت يداً على يد
نهتف أن الحمد لك	لبيك لا شريك لك

وفي جانب آخر يلتفت الأديب الإسلامي لأهمية تعريف أطفالنا بمقدساتنا وتثبيتها في أذهانهم من خلال الأناشيد الإسلامية... ولعل من المشاهد المقدسة المهمة التي تعلمها الطفل المسلم من خلال الأناشيد هو (مشهد القدس الشريف).

فالقدس الشريف السليب يعيش في ضمير أجيالنا منذ صغرهم وحتى يشبون وينضمون إلى جحافل الإسلام التي لا بد لها في يوم من الأيام من أن تثب وثبة واحدة على أعدائنا الصهاينة ونستعيد بهذه الوثبة قدسنا الشريف.

في نشيد (قسماً يا قدس) ينقل الأديب الإسلامي أروع صورة لقسم الإنسان الحرّ الذي يؤمن بربه وبمقدساته التي ضحّى من أجلها الشهداء الأبرار:

قسماً بالمسجد..
 بالأرض الطاهرة الولهى
 بدماء غنت للفجر
 بعيون قد سلبوا منها
 إنساناً كان يُناغيها
 بالحب بكلّ الآمال
 قسماً بالخيمة إذ تحنو

فتذيب صراخ الأطفال

قسماً بالقرآن الناقم

سنثور بوجهك يا ظالم

قسماً قسماً قسماً

يا قدس ويا أرض النور

سأعود إليك على كفي

قلبي بدماء أحمله

كي يورق فجر التحرير

وتعود القدس إلى النعمى

نعمى الإسلام وقد عمّا

وليعلو صوت الإيمان

قد ولد اليوم الإنسان

ويمكن للشاعر الإسلامي أن يحول أنشطة الحياة إلى أناشيد إسلامية تعيش مع الأطفال وتساهم بشكل فعال في تربيتهم وتنشئتهم تنشئة صالحة... من خلالها أيضاً يدركون أهمية هذه النشاطات الحياتية وكيف أنها في النهاية تصب في مجرى واحد هو خدمة الدين والعقيدة، وأن هذه الأنشطة جميعها إنما ننجزها بعون الله وقوته ونقوم بها أيضاً قربة لوجهه الكريم.

يقول الشاعر الإسلامي في نشيد (دعاء الدرس):

باسمك اللهم أبدأ	بك ربّي استعين
لك شكري لك حمدي	أنت رب العالمين
ربنا إياك ندعو	يا مجيب المخلصين
ربنا فافتح علينا	يا رحيم الراحمين
طلع الفجر فقمنا	واستجبنا للأمين
بعدما صلينا جئنا	نبتغي علماً ودين
سيدي فاعطف علينا	مثل عطف الوالدين
واجعل الدرس مهماً	ثمرة النور المبين

وفي قصيدة (ولد الهادي) يصور الشاعر الإسلامي مولد الرسول (صلى الله عليه وآله) وعملية التغيير التي أحدثتها هذه الولادة المباركة في حياة الناس بأسلوب سلس يتناسب وقدرة الطفل على استيعاب مثل هذه المفاهيم الكبيرة:

ولد الهادي

بشرى بعبير الأعياد
قرآن الله إلى البشر
بشرى للحاضر والبادي
ولد الهادي

جاء ليحرق ثوب الرجس
جاء لينهي عصر البؤس
جاء ليجلو أفق النفس
جاء إلينا في ميعاد
ولد الهادي

جاء بشيراً جاء نذيراً
جاء إلى الظلمات منيراً
فلق الصبح محا الديجورا
زغرد سهل هلل واد
ولد الهادي

وتبقى لشعر الطفل أغراض أخرى تربوية وتعليمية، الهدف منها إعطاؤه هذه المفاهيم بالطرق المحببة والتي يعتبر الشعر أحد أدواتها الرئيسية وعملية تعليم الشعر تخضع لبعض المقاييس التي ذكرنا بعضها، فيما تبقى بعض المقاييس الأخرى تابعة لنمط التربية التي يريدها الأبوان، واختيار النماذج الشعرية حسب الفئة العمرية للطفل إضافة إلى بعض الاعتبارات والمقاييس الأخرى.

المصادر

- ١ - من أدب الأطفال. د علي الحديدي.
- ٢ - أدب الأطفال في ضوء الإسلام. د. نجيب الكيلاني.

شبهات وردود

الوضوء

نزار مصطفى

من المسائل الخلافية بين المسلمين، اختلافهم في مسألة الوضوء على الرغم من تعايشهم مع النبي (صلى الله عليه وآله) ومشاهدتهم له في وضوئه طيلة حياته معهم بعد نزول آية الوضوء في سورة المائدة والتي هي آخر سورة نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله). حيث يقول سبحانه وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) (٢٩).

فالآية صريحة بأن الوضوء غسلتان ومسحتان. وهذا ما قالته الشيعة وأيدهم جماعة من الصحابة والتابعين. وذهب أئمة المذاهب الأربعة إلى أن الواجب هو الغسل وحده دون المسح للرجلين وقال آخرون أن المكلف مخير بين الغسل والمسح للرجلين.

وقد أثرت بعض الشبهات حول المسح على الرجلين ونحن بدورنا نجيب عليها.

س ١: جاءت كلمة (أرجلكم) في الآية الكريمة بالنصب وهذا مما يوجب الغسل دون المسح لأنها معطوفة إلى جملة فاغسلوا وجوهكم فما هو ردكم؟

ج: لقد قرأت كلمة (أرجلكم) على قراءتين مشهورتين. قراءة بالنصب، وقراءة بالجر، وقد بينها الإمام الرازي في تفسيره الكبير (٣٠) قال: حجة من قال بوجوب المسح مبني على القراءة بين المشهورتين في قوله (وأرجلكم) وهما: الأول: قرأ ابن كثير، وحمزة، وأبو عمرو، وعاصم - في رواية أبو بكر عنه -، بالجر.

الثاني: قرأ نافع وابن عامر، وعاصم - في رواية حفص عنه - بالنصب.

أما القراءة بالجر فهي تقتضي كون الأرجل معطوفة على الرؤوس، فكما وجب المسح في الرأس، وجب في الأرجل، فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون الجر على الجوار؟

كما في قوله (حُجِرُ ضَبِّ خَرَبٍ) وقوله (كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ). قيل: هذا باطل من وجوه:

١ - إن الكسر على الجوار معدود من اللحن الذي قد يتحمل لأجل الضرورة في الشعر وكلام الله يجب تنزيهه عنه.

٢ - إن الكسر على الجوار إنما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما في قوله (حُجِرُ ضَبِّ خَرَبٍ) فإن (الخرَب) لا يكون نعتاً للضب بل للحجر، وفي هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل.

٣ - إن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب.

وأما القراءة بالنصب فهي أيضاً توجب المسح، وذلك لأن (برؤوسكم) في قوله (فامسحوا برؤوسكم) في

٢٩ - سورة المائدة الآية: ٦.

٣٠ - التفسير الكبير للرازي ج ١١، ص ١٦١ عن كتاب الشيعة الإمامية في عقائدهم.

محل نصب بـ(امسحوا) لأنه المفعول به، ولكنها مجرورة لفظاً بالباء، فإذا عطفت الأرجل على الرؤوس جاز في الأرجل النصب عطفاً، على محل الرؤوس، وجاز الجر عطفاً على الظاهر.

ونزيد بياناً على قراءة النصب يتعين العطف على محل برؤوسكم، ولا يجوز العطف على ظاهر (أيديكم) لإستلزامه الفصل بين العاطف والمعطوف عليه بجملة أجنبية وهو غير جائز في المفرد، فضلاً عن الجملة. وقال الشيخ الحلبي عند تفسير الآية: (قرئ في السبعة بالنصب والجر، والصحيح أن الأرجل معطوفة على الرؤوس في القراءتين، ونصبها على المحل وجرها على اللفظ وذلك لامتناع العطف على وجوهكم، للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة أجنبية، هي (وامسحوا برؤوسكم) والأصل أن لا يفصل بينهما بمفرد فضلاً عن الجملة، ولم يسمع في الفصح نحو: ضربت زيداً ومررت ب بكر وعمرراً، بعطف عمرو على زيد(٣١). إن المستفاد من أقوال مفسري القرآن والنحاة من كلا الفريقين هو أن كتاب الله يوجب المسح دون الغسل بالنسبة إلى الأرجل سواء أقرأت أرجلكم بالجر أم النصب.

س٢: لكن الأخبار وردت بوجوب الغسل، فالمسح وإن كان ظاهراً في القرآن إلا أن السنة جاءت مبيّنة للقرآن؟

ج: إن قولكم بأن السنة مبيّنة للقرآن لا يعول عليه في هذه الآية. لأنها في محل البيان التفصيلي للوضوء، ولا تحتاج إلى السنة لكي تبين محل الإبهام فيها، فالآية جاءت صريحة بوجوب المسح دون الغسل، وهناك فارق بين المسح والغسل.

ثم أن أخبار الغسل معارضة بأخبار المسح، وليس شيء أوثق من كتاب الله فلو دلّ على لزوم المسح لا يبقى مجال لترجيحه على روايات المسح، والقرآن هو المهيمن على الكتب والمأثورات، والمعارض منها للكتاب لا يقام لها وزن.

س٣: ما هي الأخبار التي تعارض غسل الرجلين؟

ج: هناك أخبار كثيرة دلت على المسح دون الغسل في كتب وصحاح أئمة المذاهب الأربعة منها:

١ - ما جاء في مسند أحمد (٣٢) حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعشى عن أبي إسحاق عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب قال: كنت أرى باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمسح ظاهرهما.

٢ - همام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، قال: حدثنا علي بن يحيى بن خالد، عن أبيه، عن عمه وهو رفاعة بن رافع، أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنه لا تجوز صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله عز وجل، ثم يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه ورجليه إلى الكعبين(٣٣).

٣ - قال المتقي: حدثنا هيثم عن يعلى بن عطاء عن أبيه قال: أخبرني أوس بن أبي أوس الثقفي أنه رأى

٣١ - غنية المتملي في شرح منية المصلي ص ١٦ عن كتاب الشيعة الإمامية بين النصوص الدينية.

٣٢ - مسند أحمد بن حنبل، ح ١، الحديث ٩١٩٧٣٩.

٣٣ - السنن: ابن ماجة ج ١ الحديث ٤٦٠، باب الرخصة في ترك الذكر في السجود.

النبي (صلى الله عليه وآله) أتى كظامه قوم بالطائف، فتوضأ، ومسح على قدميه (٣٤).
هذه الروايات تدل على أن الفريضة في الوضوء هي المسح، وهناك روايات كثيرة من الصحابة والتابعين حول مسح الأرجل، تركنا ذكرها رعاية للاختصار.

س ٤: ألا ترى أن الغسل يوجب إزالة النجاسة وليس المسح كذلك؟ فقد روي عن ابن عمر في الصحيحين قال: تخلف عنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سفره، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، وجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا، قال: فنادى بأعلى صوته (ويل للأعقاب من النار) مرتين أو ثلاث (٣٥).

ج: هذه الرواية تدل على أن الصحابة كانوا يمسحون أرجلهم، وهذا دليل على أن المعروف عندهم هو المسح دون الغسل، وما ذكره البخاري من أن الإنكار عليهم كان بسبب المسح لا بسبب الاقتصار على بعض الرجل، اجتهد منه وهو حجة عليه لا على غيره، فكيف يمكن أن يخفى على ابن عمر وبقيّة الصحابة حكم الرجلين حتى يمسح رجله عدّة سنين إلى أن ينكر عليه النبي (صلى الله عليه وآله) المسح؟

على أن للرواية معنى آخر تؤيده بعض المأثورات، فقد روي: أن قوماً من أجلاف العرب، كانوا يبولون وهم قيام، فيتشرشر البول على أعقابهم وأرجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلاة، وكان ذلك سبباً لذلك الوعيد (٣٦) ويؤيده ما يوصف به بعض الأعراب بقولهم: بوال على عقبه.

فمفاد الرواية أن النبي (صلى الله عليه وآله) أراد أن ينبههم إلى وجوب نظافة البدن والثياب قبل الشروع بالوضوء.

س ٥: لكن هذه الرواية تدل على أن الغسل هو أقرب للاحتياط من المسح، ويكون غسل الأرجل يقوم مقام مسحها، لأن الغسل مشتمل على المسح ولا عكس؟

ج: قلنا إن الفارق بين المسح والغسل كبير، فالغسل إمرار الماء على المغسول، والمسح إمرار اليد على الممسوح، فهما إذن حقيقتان مختلفتان لغة وعرفاً وشرعاً، ولو حاول أحد الاحتياط لوجب عليه الجمع بين المسح والغسل لا الاكتفاء بالغسل، والرواية كما قلنا تشير إلى نظافة الأعضاء قبل الإتيان بالوضوء.

س ٦: قلت في بداية حديثك أن بعض الصحابة والتابعين وافقوا الشيعة في وجوب المسح دون الغسل فمن هم؟

ج: هناك جملة من الصحابة والتابعين وافقوا الشيعة في وجوب المسح دون الغسل نشير إليهم على وجه الإجمال (٣٧).

- ١ - ابن عباس، قال: الوضوء غسّلتان ومسحتان.
- ٢ - كان أنس إذا مسح قدميه بلّهما ولما خطب الحجاج وقال: ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبيهما، قال أنس: صدق الله وكذب الحجاج، قال (وامسحوا برؤوسكم

٣٤ - تفسير الطبري ج ٦، ص ٨٦.

٣٥ - صحيح البخاري، ج ١ كتاب العلم ص ١٨، باب من رفع صوته، الحديث ١.

٣٦ - مجمع البيان ١٦٧/٢.

٣٧ - الطبري: التفسير ٨٢ / ٦ - ٨٣.

- وأرجلكم إلى الكعبين) وكان أنس إذا مسح قدميه بئهما.
- ٣ - عكرمة، قال: ليس على الرجلين غسل، وإنما نزل فيهما المسح.
- ٤ - الشعبي قال: نزل جبرئيل (عليه السلام) بالمسح وقال: ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلاً يلغي ما كان مسحاً.
- ٥ - عامر: أمر أن يمسح في التيمم ما أمر أن يغسل بالوضوء، وأبطل ما أمر أن يمسح في الوضوء: الرأس والرجلان، وقيل له: إن أناساً يقولون إن جبرئيل نزل بغسل الرجلين فقال: نزل جبرئيل بالمسح.
- ٦ - قتادة في تفسير الآية، افترض الله غسلين ومسحتين.
- ٧ - قرأ الأعمش (وأرجلكم) مخفوضة اللام.
- ٨ - علقمة قرأ (أرجلكم) بالكسر.
- ٩ - الضحاك: قرأ (وأرجلكم) بالكسر.
- ١٠ - مجاهد: مثل ما تقدم.
- وهؤلاء من أعلام التابعين وفيهم الصحابيون: ابن عباس وأنس، وقد اتفقوا على المسح وقراءة الجر الصريح في تقديم المسح على الغسل وجمهور أهل السنة يحتجون بأقوالهم في مجالات مختلفة فلماذا أعرضوا عنهم في هذا المجال المهم والحساس في عبادة المسلم.

من أعلام الشيعة

الشيخ الصدوق

الصدوق هو حجة الإسلام محمد بن علي القمي، والمكنى أبو جعفر ولد عام ٣٠٥ للهجرة في مدينة قم المقدسة، وهي نفس السنة التي توفي بها النائب الثاني للإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) محمد بن عثمان العمري، وتوفي الصدوق في مدينة الري عام ٣٨١ هـ. أبوه علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، كان من فقهاء الإسلام العظام في مدينة قم، توفي في العام الذي سمي بعام النجوم ٣٢٩ هـ وهو العام الذي توفي فيه العلامة الكليني وعلي بن محمد السمرري وهو النائب الرابع للإمام الحجة (عجل الله فرجه). أول أساتذته وأهمهم هو ثقة الإسلام الكليني، وقد عاصره (٢٤) عاماً.

ولادته

كان علي بن الحسين وهو والد الصدوق لا يرزق أولاداً فاتصل بالإمام الحجة المهدي (عجل الله فرجه الشريف) عن طريق نائبه في بغداد الحسين بن روح النوبختي، وهو النائب الثالث، وقد سألته أن يدعو الله كي يهبه ولداً صالحاً، فأوصل النوبختي هذه الوصية وهذا الرجاء واستجاب الإمام ودعا الله سبحانه وتعالى أن يرزق علي بن الحسين ولداً زكياً، فاستجاب الله عز وجل لكرامة دعاء الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وجاءت البشرى من الناحية المقدسة عن طريق الحسين بن روح يبشره بمولود صالح مبارك يعقبه أولاد أتقياء، وفعلاً جاء محمد بن علي القمي، الصدوق.

مؤلفاته

للشيخ الصدوق مؤلفات كثيرة جداً في مختلف المواضيع الإسلامية والدينية والمذهبية تدل على سعة علمه وقوة فهمه، وقد ذكر المؤرخون أنه ألف حوالي ثلاثمائة كتاب، ولكنها لم تشتهر مثلما اشتهر مؤلفه (من لا يحضره الفقيه).

ويعتبر هذا الكتاب من أعظم ما ألف الصدوق، وهو يمثل مع كتب (الكافي) و(الاستبصار) و(التهذيب) أحد الكتب الأربعة المهمة لدى الشيعة، وهو يأتي بالدرجة الثانية بعد الكافي للكليني، وقد اعتنى علماء الإسلام وفقهاؤهم بهذا الكتاب شرحاً وتعليقاً كاعتنائهم بالكافي على حد سواء. وقد جمع منه الشيخ الصدوق (رحمه الله) الأحاديث الواردة آنذاك عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وآله الأظهر (عليهم السلام) والتي تهتم بأمور الفقه والمسائل المستعصية.

ولم يكتفِ كتاب ثان من كتبه المهمة جداً وهو (مدينة العلم) وهو أكبر من كتاب (من لا يحضره الفقيه)، إلا أنه ضاع وخسرت المكتبة الإسلامية هذا السفر النفيس والكتاب القيم، ويقول بعض المؤرخين إن كتاب (مدينة

العلم) لو كان موجوداً وغير مفقود لكان الكتاب الخامس من كتب الحديث المعتبرة بالإضافة إلى الكتب السابقة. من أسماء كتبه: عيون أخبار الرضا، وهو كتاب مهم جداً حقق رواجاً واسعاً في حينه وما زال من أمهات الكتب. وله علل الشرائع والأحكام وهو الذي لا يقل عن سابقاته، ومعاني الأخبار، وإكمال الدين وإتمام النعمة، والتوحيد، والخصال، والأُمالي ويسمى أُمالي الصدوق، أو المجالس - مجالس الصدوق - وثواب الأعمال، وكتاب الهداية، والعقائد، وكتاب صفات الشيعة، وكتاب فضائل الشيعة، وكتاب فضائل الأشهر الثلاثة ويقصد بها أشهر شعبان ورمضان ومحرم الحرام. وكتاب مصادقة الإخوان وهو من الكتب الأخلاقية المهمة، وكتاب النصوص، وكتاب المقنع، وكتاب دعائم الإسلام في معرفة الحلال والحرام وهذه رسالة فقهية أصولية، وكتاب النبوة، وكتاب إثبات الوصية لعلي، وهو الكتاب الذي أثبت الصدوق أنه صاحب مدرسة خاصة به في الاحتجاج والمجادلة، وكتاب إثبات الخلافة وهو مكمل لمؤلفه السابق وعلى ذات نهجه، وكتابه المعرفة في فضل النبي وأمير المؤمنين والحسنين (صلوات الله عليهم).

رأي العلماء فيه

لقد تسنّم الصدوق كرسي الصدارة في الحديث والإجازة، حتى لقب (حجة الإسلام) وهو أول من لقّب بهذا اللقب، قبل أن يصبح مرتبة علمية يحصل عليها طالب الحوزة العلمية بعد أن يصل إلى مراحل معينة في دراسته الحوزوية العلمية الدينية، ويأتي باستنباطاته.

لقد نقل عنه بعض من عاشروه أنه كان عبقرياً فذاً في الكثير من العلوم، حتى أصبح مرجعاً عاماً للشيعة الإمامية الاثني عشرية في زمانه، وكانت الأسئلة ترسل إليه من أرجاء العالم الإسلامي إلى مقر إقامته في قم المقدسة فكان يجيب عنها بالأجوبة الشافية. وقد صادفت حياته فترة حكم الملك الشيعي (ركن الدولة) البويهري الديلمي وهو والد عضد الدولة.

ولشيخنا الصدوق قصة مع الملك المذكور، ذاك أن الشيخ الصدوق لما ارتفعت سمعته وعلا مكانه بين أرجاء العالم الإسلامي والأفاق، وعلم جميع النخب من العلماء والعامة من الناس والطلبة والدارسين بفضلته وعلمه، أرسل إليه الملك ركن الدولة في يوم من الأيام، فحضر الصدوق المجلس ملتبساً دعوة رسول الملك، وكان ركن الدولة آنذاك يقيم مجلساً كبيراً لعلماء وأفاضل الإسلام وقتذاك، فلما دخل عليه الشيخ الصدوق بالغ في تعظيمه وتبجيله وتكريمه واستقبله استقبالاً حافلاً وعظيماً، ثم ألقى عليه مسائل كبيرة ومعضلات صعبة ودقيقة في نفس المذهب، ومن مجمل المذاهب الإسلامية فما كان من الشيخ الصدوق إلا أن أجابه برباطة الجأش دون تلكؤ، إجابات شافية وافية.

وقد دخل في مناظرات مع علماء من مذاهب عدة في حضرة الملك ركن الدولة حتى أنه حصل على تزكية من جميعهم، وقد تنازل عالم شافعي كبير آنذاك عن مذهبه وقال في حضرة الملك: لقد أوصلني الصدوق بجذاله وتشريحه إلى أحقية مذهب الاثني عشرية، وأنا منهم من هذه اللحظة. وقد استحسّن الملك ركن الدين ذلك، واستحسن الآخرون الذين حضروا المجلس والمناظرة والاحتجاج واستمعوا إلى إلقاء الحجة الواضحة من قبل الشيخ الصدوق، والبراهين الجليلة وقطع دابر الشك بالمحجة البيضاء التي نهلت من منهج أهل البيت (عليهم السلام)، لقد استحسّن الملك والحاضرون ما ورد من نتيجة ما رأوه، وحتى أن المخالفين كانوا قد وصفوا

إعجابهم بكلمات بحضرة الملك، وعن هذه المناظرات كتب المشايخ الكبار رسالة خاصة، وقد أوردتها الفاضل التستري في كتابه (المجالس الحسينية).

وقد قال فيه بحر العلوم في كتابه الفوائد الرجالية حيث قال: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، هو شيخ من المشايخ وركن من أركان الشريعة، ورئيس المحدثين، ولد بدعاء صاحب الأمر والعصر (عجل الله فرجه) وكان بذلك عظيم الفضل والفخر، وقد وصفه الإمام الحجة (عجل الله فرجه) في التوقيع الخارج من الناحية المقدسة بأنه: (فيه خير مبارك ينتفع الأنام به). وفعلاً فقد عمّت بركته الأنام، وانتفع به الخاص والعام، وبقيت آثاره المقدسة ومصنفاته مدى الأيام، وعم الانتفاع به وبفقهه وحديثه).

رحلات الشيخ الصدوق

لقد كان الشيخ الصدوق (رحمه الله) حريصاً على أخذ العلوم من مصادرها الأساسية، وقد كانت في ذلك الوقت مدارس فقهيه ومحدثين تاريخيين كثر في عواصم ثقافية وأدبية وتاريخية مثل مدن البصرة وبغداد والري ودمشق والقاهرة فما كان منه إلا أن قام برحلات كثيرة للبلدان والأمصار لاكتساب العلوم والفضائل والخبرة وسماع الأحاديث والأخبار عن العلماء والثقات بشكل مباشر والإطلاع على كتبهم بشكل كامل أيضاً، وكان يجري المناظرات والاحتجاجات واللقاءات الكثيرة مع العلماء والأدباء في كل الأمصار والبلدان.

لقد سافر من مسقط رأسه مدينة قم إلى الري في جنوب طهران، ثم سافر إلى طوس، أي مدينة مشهد حيث مرقد الإمام الرضا (عليه السلام)، والتي كانت مدينة تنهض لتوها حيث شُيّد فيها مرقد الإمام الرضا (عليه السلام) ثم سافر إلى نيسابور تلك المدينة التي اشتهرت بالمدارس الكلامية والنحوية وفقه اللغة وبقية العلوم الأخرى، وبعدها رحل إلى بغداد ثم ورد الكوفة ومنها إلى البصرة، ثم سافر إلى همدان، وإلى بَلَخَ وإلى إيلاق، ثم إلى سرخس، ودخل سمرقند ثم سافر إلى فرغانة، وكان في كل سفره يعود أدراجه إلى مدينته قم المقدسة.

أول فائدة جناها من رحلاته هذه هو إحكام أحاديثه وكلامه الذي دوّنه للأجيال، وأخذ من المصادر الأساسية قدر الإمكان، لأن العلم مهمة خطيرة، على العالم أن يعرف الخبر الذي يكتبه ويمحصه لأنه أمانة الأجيال القادمة، وقد كتب الشيخ الصدوق (رحمه الله) بأن كل جهوده التي قام بها من خلال التأليفات الكبيرة جاءت نتيجة لسفراته الكثيرة ونتيجة لمراسلات أهل العلم من كل أرجاء العالم الإسلامي.

من قاموس الإمام الشيرازي

السلام استراتيجية لا خيار..

في فكر الإمام الشيرازي

أحمد البدوي

يحير الكثير من المفكرين في سؤالهم: هل التاريخ هو سجل العباقرة والعظماء؟ أم هو كما يقول فولتير (سجل جرائم الإنسان والحظ النكد) (٣٨)، أم هو سجل الحروب قبل كل شيء؟، ويؤكد هذا ضمناً ما تضمنته أو تتجهر به نظرية كبير المؤرخين آرنولد توينبي (توفي عام ١٩٧٥م) في نظريته للحضارات (التحدي والاستجابة) بما تركز عليه دلالات التحدي والاستجابة في آفاق الصراع بأي شكل من أشكالها. إضافة إلى أن كثيراً من أطر الصراع لا تتشكل بعناوين السيف والمدفع وإنما تأخذ مدارات أخرى سيما إذا عرفنا مفهوم (الحرب) بضده، وأنه كل شيء خارج دائرة الأمن والسلام، وما أضيف في سجلات التاريخ والمجتمعات في كل مكان وزمان، لذا كانت الأشكال الحضارية في إمبراطورياتها هي أشكال عسكرية، يقرر معها المؤرخون في أن معظم الحضارات أهلكتها الحروب في ذروة دورتها الحضارية أو في نهايتها. فيما تكون سهلة الانقضاء. إلا حضارات الأنبياء لم تكن بذلك النسق العسكري إلا بما فرضه الاقتضاء.. بما سيأتي، في جعلها (الحرب) وسيلة للسلام. ولتكشف هذه الرؤية (زحمة حروب التاريخ) ما نجده في معظم الملاحم التراثية للشعوب، وأوضح ذلك في أعظم ملحمة - ببعدها الإعلامي الزمني - وهي ملحمة الإلياذة والأوديسة، فهي عبارة عما هو معروف عن قصة حرب بين طروادة وأثينا، وكذلك كانت كلكامش والمهاماتا والشاهنامة تقفز على صفحاتها بالالتقاء على سيف أو رمح.

فهل الحرب أمر خارج عن طبيعة الإنسان الأولى، وفلسفة وجوده لتكون الأصالة للسلام. بلا شك هو ذلك وجداناً قبل أن يكون برهاناً، فالفلاسفة ومفكري التاريخ وأنبيائه قبلهم.. إذا كانوا يؤسسون لشيء... فهو مقصد السعادة. وكل أدلى دلوه.. إلا أن أغلبهم كانت هذه السعادة تجاور السلام في كينونتها حتى صيرورتها من (الوجود البسيط حتى الكمالي) إلا إن كثير من الأيديولوجيات بما أفضته فلسفات القرن التاسع عشر ١٠ لذا سمي (بقرن الأيديولوجيات) خرج بأطروحات خلاف الشبكة الرئيسية المربوطة مع فكرة الإنسان، سيما في رؤى الصراع وتحت عناوين (تنازع البقاء) ضمن فلسفات ميكافيلي ونييتشة ووليم جيمس وآخرين بما نظّروا للموضوع ضمن إطار النوع والعرق والجغرافية واللون (النازية والفاشية)، حتى أصبحت الحرب أصالة كما تثيره مقولتهم (إذا لم تكن هناك حاجة للسلام فلماذا لا تحارب) وكأنه يقول إذا كنت فارغاً لماذا لا تذهب للصيد. ومع أن المفهوم أقرب المدركات التي تصلها (إدراكياً) نظرية الحسن والقبح الذاتيين، باعتبار الأمن حسن

٣٨ - إسماعيل، محي الدين، توينبي.. منهج التأريخ وفلسفة التاريخ. بغداد، دار الشؤون الثقافية، ط ٢، ١٩٨٦ م، ص ٧.

في ذاته، والخراب قبيح في ذاته، وينفرد العقل في قطعه بذلك بعيداً عن الاستناد إلى النصوص الفلسفية والدينية التي تعتمد عليها المدارس الفكرية. أي تكون بهذا من أول المدركات التي تتفق عليها نظرية المعرفة شرقاً وغرباً.

مع هذا ما زالت الأرض تنن من وطء أقدام الجيوش وأسلحتها، وكل أشكالها الأخرى، سياسية واقتصادية، ونفسية واجتماعية (أخلاقية) وحقوقية، ووسط هذه المعمة وأمام هذا المعترك المختنق بغبار نقعه، كان لا بد للإسلام من أن يضع أسسه في ذلك، لإتقاذ الإنسانية بعد أن تهافتت الفلسفات والرؤى في هذا الشأن.. حتى أفرز العالم حربين عالميين خلال عقدين (١٩١٨ نهاية الأولى) حتى (١٩٣٩ بداية الثانية).

بهذه الصفحات سنتصفح أوراق (رؤى) واجتهادات مفكر تميّز بموضوعية وموسوعية جعلته من المميزين في دخوله العصر.. ولاتطبق كلمة الإمام الصادق (عليه السلام) في سياق شروط القيادة (... أعلم بأمور زمانه) لذلك سندخل إلى رأي الإسلام في السلام من خلال اجتهاده المتميز.

يرى الإمام الشيرازي (دام ظله) أن السلام هو شعار الإسلام (..) وليست الحرب والمقاطعة وأساليب العنف إلا وسائل اضطرارية شاذة على خلاف الأصول الأولية الإسلامية، حالها حال الاضطراب لكل الميتة وما أشبه، وإنما الأصل السلام ولذا تقدّر الحرب بقدرها في الإسلام (٣٩).

كما أن السلام أحمد عاقبة - بعيداً عن النصوص واستناداً إلى التاريخ - وأسرع للوصول إلى الهدف، فالمسلم والسلام والمسالمة أصول توجب تقدم المسالم، بينما غير المسالم والعنيف دائماً يظل متأخراً (٤٠) كما أن الكيان بأي شكل من أشكاله الاجتماعية، الذي يريد أن يخوض بعداً تغييراً في أي وسط بشري، إن لم يضع استراتيجية اللاعنف، انفضّ من حوله الناس، وفقد شرعيته أمامهم، وهذه طبيعة بشرية وجبّل الإنسان على ذلك في نفوره من العنف، بل هي طبيعية يشاركه عالم الحيوان في ذلك، على هذا تختزن فكرة الشيرازي (دام ظله) في رؤية الإسلام للسلام بأنه مفهوم لصيق له وبعد استراتيجي فيه.

يعرض الأستاذ محمد غالب أيوب في كتابه عن فكر الإمام الشيرازي (دام ظله) (٤١) تناوله للسلام، بتقرير أربعة مبادئ يقع معهما في ارتباك منهجي فالشعارات هي:

١ - السلام دائماً.

٢ - السلام ضماناً بقاء المبدأ.

٣ - السلام أحمد عاقبة.

٤ - السلام قولاً وفعلاً وكتابة وفي أي موقع ومع كل الناس.

فالسلام دائماً هي رؤية ونتيجة تأسيس، أما السلام ضماناً بقاء المبدأ هي أس ذو انتزاع عقلي (يثمره الواقع التاريخي ومباحثه السننية). كذلك السلام أحمد عاقبة هو أيضاً أس وليس نتيجة بينما السلام قولاً وفعلاً

٣٩ - الشيرازي، محمد مهدي، السبيل إلى إنهاء المسلمين، بيروت، مؤسسة الفكر العربي الإسلامي، ط٨،

١٤٢١هـ، ص ١٤٣.

٤٠ - ن. م، ص ١٤٧.

٤١ - عنوان الكتاب (ملاحم النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي، بيروت، دار المنهل، ط١، ١٤١١هـ.

هو تقرير للإمام الشيرازي (دام ظله)، أي رؤية ابتدئت على أسس متفرقة، فجمعهم في أربعة نقاط على شكل نتائج أو رؤى، يعيب الانتقال المنهجي للتأسيس والنتيجة عند غالب أيوب (٤٢).

والإطار المتكامل لرؤية الإمام الشيرازي، هو أن السلام ليس أمر طارئ أو ثانوي، وإنما ركيزة أساسية استراتيجية ومبدأ أصيل في ضمير الإنسان والشعوب، وغيره طارئ اضطراري، فالإسلام يلجأ للحرب من أجل السلم، إذ فالسلم غاية والحرب وسيلة له، كون المحارب خانقها ومع الحرب رفعاً ليديه عنها.

منطلقات التأسيس

١- التأسيس القرآني:

عدة آيات قرآنية وجدها تخرج بوجهة السلام وترتكز عليه دلالة، ومع كل الأبعاد التي تتناول الصراع، سواء في شكلها الرسمي (الاصطلاحي) كحرب نظامية (لوجستية) أو مع الحروب الفرعية الأخرى داخل المجتمع وكل علاقاته في بعد (إنسان - إنسان) ضمن ما يسميها مالك بن نبي في اصطلاحه (شبكة العلاقات الاجتماعية) (٤٣). في تعامله مع الآية (٢١٦) من سورة البقرة: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) يقول السيد الإمام الشيرازي (دام ظله) فيها (إن الظاهر من هذه الآية أن القتال لو كان أمراً طبيعياً لما قال سبحانه: (وهو كره لكم) فالحرب ظاهرة اجتماعية تملئها الغرائز الفاسدة وليست أمراً طبيعياً في البشر (٤٤).

إذن هذه الآية توضح فكرة أصالة السلام في طبيعة البشر ضمن وجودهم العائلي على كل المستويات. كذلك فهو (دام ظله) يستند إلى دلالة الآية (٢٠٨) من سورة البقرة: (يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان) إذ مع مجرى السياق في كون عدم اتباع السلام هي خطى شيطانية، دلالة بالغة الوضوح على أن السلام هو الوجه الطبيعي الذي يمكن أن ينسجم وروح الإنسان في تكاملها.

كذلك الآية (٦١) من سورة الأنفال: (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله). إضافة إلى ذلك نجد تلك الدلالة في طرح قرآني عن علاقة المسلمين بغيرهم من الكفار.. يجد الإمام الشيرازي دلالة في نص نقتطعه من سياقه: (عسى أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة) فالحث على الأسلوب المسالم في اللين واحترام الآخر، ووجه كلمة (عسى) بدالاتها على الرغبة في حدوث المودة، وبكثافتها للترجي وقرب الوقوع أيضاً بوجه التركيز القرآني على السلام وبعده الاستراتيجي مع الجماعات.

كذلك في عدة أماكن يستدل السيد بآية (٣٥) من سورة فصلت: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، ولا يلقاها إلا الذين صبروا ولا يلقاها إلا ذو حظٍ عظيم)، هذا ناهيك عن آيات تملك إشارات ولو غير مباشرة للسلم من قبيل (لا إكراه في الدين) و (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من

٤٢ - ن.م، ص ٦٥.

٤٣ - أنظر أغلب كتبه، سيما (ميلاد مجتمع) و(فكرة كومونولث إسلامي).

٤٤ - الشيرازي، محمد مهدي، الصياغة الجديدة، مركز الفكر الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

حولك)(٤٥).

أما شبهة دلالة الآية (ولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)(البقرة: ٢١٥)، فهي تشير إلى سنة الصراع في الأرض، ليس في مفهوم (تنازع البقاء) وإنما (تنازع الحق والباطل) فالمسلم لا يريد البقاء بقدر ما يريد الحق، إلا إن الآية في نفس المقام تعطي دلالة متينة في ضرورة الجهاد بقدر ضرورة السلام - كون الجهاد الإسلامي من أجل السلام - وذلك ما يخرج من دلالة (ولا دفع) قبال (لفسدت الأرض) ففساد الأرض وخرابها متعلق (بعدم الدفع) والوقوف أمام الباطل.

٢ - منطلقات السنة الشريفة

المسيرة التاريخية للرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليه السلام) والأنبياء (عليه السلام) من قبلهم والصالحين من الأمة تؤيد أصالة السلام واستراتيجيته في دعوتهم، كحقيقة تفرض نفسها انتصاراً، ولو بعد حين، يقول الإمام الشيرازي (دام ظله) في رجوعه لسيرة المعصوم: (كان السلام شعاراً لهم (النبي (صلى الله عليه وآله) وآله (عليه السلام) في كل شؤونهم وحتى في حروبهم، وهذا النجاح منقطع النظير لنبي الإسلام والأئمة إنما هو لأسباب من جملتها السلام الذي كانوا يتحلون به في كل شؤونهم)(٤٦) فحينما كانت مكة عاصمة الكفر، وعاصمة الأصنام وعاصمة محاربة الرسول، فإنهم واجهوا رسول الله بكل وسيلة وشرّدوا، وقتلوا بنته زينب، وصادروا أمواله، وقتلوا العديد من رجاله، ثم حاولوا اغتياله فهاجر سراً إلى المدينة، واستمرت مؤامراتهم ضد حركته المقدسة. ومع ذلك بعد أكثر من عشرين سنة، لما فتح الرسول (صلى الله عليه وآله) مكة فتحها بسلم دون أن تراق قطرة دم واحدة(٤٧)، وقال لهم كلمته التي تمثل البعد الأوفر في الاستدلال بهذه السنة لأنه كان حينها في تمام قدرته وقبضته على مكة وأعداءه فيها، لكن لا للحرب، وإنما اذهبوا فأنتم الطلقاء، حتى أن سعد بن عباد، حمل الراية في ساحات مكة ليهتف: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى الحرة)، فإذا سمع الرسول ذلك، قال لعلي (عليه السلام): خذ اللواء واهتف عكسه، فكان هتاف عليّ مشبعاً بالسلام (اليوم يوم المرحمة اليوم تحفظ الحرة)(٤٨)، هذا الطريق هو الذي جعل (عتاباً) وهو شاب صغير يحكم مكة ويكون والياً عليها من الرسول، دون جيش أو شرطة أو سلاح، لأن القلوب استيقظت على وقع الحقيقة.

ويستمر الإمام مكتفياً شواهد من سيرة المعصوم فبعد كل القنوت التي خاضها الرسول في هذا المنطق، بما يعرضها الإمام الشيرازي، سواء مع الأمم الأخرى. أو مع الطوائف المعادية، أو وصاياه لغزواته، أو تعامله الغزوي، كذلك ينتقل (٤٩) إلى سيرة الإمام علي (عليه السلام) فنجدته مثلاً عفا عن الذين أثاروا الحروب، وفيهم الذين يصطلح عليهم في العصر الحديث بمجرمي الحرب، أمثال مروان وابن الزبير ومن أشبه فعفا عنهم، وكذلك

٤٥ - ينظر: ن.م، ص ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٤ كذلك كتابه السبيل إلى إنهاء المسلمين، ص ١٥٠ - ١٥٩.

٤٦ - السبيل إلى إنهاء المسلمين، مصدر سابق، ص ١٤٣.

٤٧ - ن.م، ص ١٤٤.

٤٨ - ن.م، ص ١٤٦.

٤٩ - ن.م، ص ١٥٥.

عفا عن الجيش المناوئ فقال (عليه السلام): مننتُ على أهل البصرة كما منَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أهل مكة) فاطلق سراحهم ولم ينتقم منهم، وإنما وضعهم أمام مائدة السلام وهذا دليل حيوي، في أن السلام لم يكن تكتيكاً أو خياراً مع المعصوم (عليه السلام) وإنما بعداً رئيسياً، وإلا فالإمام (عليه السلام) كان ذا قدرة - وقتها - على تصفيتهم دون أن يفرز هذا الأمر سوءاً عليه، سيما أنهم خرجوا عن نهاية حرب، ولم يكن وقت سلم لاستفادة تهمة تتفقد المعارضة كما استفادت من قميص عثمان.

يستند كذلك السيد الشيرازي (دام ظله) إلى قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (عجبت ممن يشتري العبيد بماله، كيف لا يشتري الأحرار بأخلاقه) ولا ريب دلالة الأخلاق على وجه السلام بما تنطوي عليه، كما أن جعل الرسول (صلى الله عليه وآله) في حصره مكارم الأخلاق بثلاث أحدهما المسالمة، له دلالة بالغة في البين ويؤكد هذا المفرق بقوة قوله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): (يا علي مكارم خصال الدنيا والآخرة: لينُ الكلام، والسخاء، وأن تغفو ممن ظلمك) بل عن جناحي الحديث (لين الكلام، والعفو) هما بعدا السلام. كما أن من صفات المسلم المؤمن هم (الموطنون أكنافاً... الذين يألفون ويؤلفون) وغير ذلك كثير مما يستشهد به الإمام الشيرازي (دام ظله) مستنداً على استراتيجية السلام، فيرى الشيرازي (دام ظله) الإسلام لا يأمر بمحاربة إلا من لا يزال يقاتل المسلمين ويريد الاعتداء، وينهى عن موادة أمثال هؤلاء، أما الذين لم يقاتلوا المؤمنين ولم يخرجوهم فالله سبحانه يلمح إلى برّهم والاقساط إليهم وإن كانوا كفاراً)(٥٠)، كما أن الإمام علي (عليه السلام) في حديثه لعسكره قبل لقاء العدو بصفين يقول لهم: (لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم، فأنكم بحمد الله على حجة، وتركم إياهم حتى يبدؤكم حجة أخرى لكم عليهم). فمع أن أولئك أهل باطل وفتنة وفي طريقهم على تشويه الإسلام وهدم ما بناه الرسول (صلى الله عليه وآله)، مع ذلك السلام معروض أولاً، فأن نبذوه وراء سيوفهم فهو خيارهم وليس خيارنا، كذلك قوله لولده الحسن (عليه السلام): (لا تدعون على مبارزة)، وهي العنوان الأول للحرب وإعلانها في الأعراف الحربية قديماً، إن إذا جنحوا فاجنح.

يورد الإمام الشيرازي (دام ظله) بكثافة ملحوظة (٥١) في تأسيساته، نصوصاً متفرقة تدل على قوة الاستقراء الذي يمتطيه السيد هنا وهناك ليقترّب ضمن فلسفة الاحتمال وتراكمها بما يصل إلى الاطمئنان المتأخم للقطع، فيذكر دلالة معينة لذلك في نص الإمام علي (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر (رض): (لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدو لله فيه رضى) كذلك نقله (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (إذا أوحى أحد من المسلمين أو أشار بالأمان على أحد المشركين فنزل على ذلك فهو في أمان)، كذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام): (لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا ولا يأمرؤا بالغدر ولا يقاتلوا مع الذين غدروا).

٣ - التأسيس العقلي

بالتأكيد دور العقل هنا.. ما تفرزه معطيات الواقع التاريخ، حرباً وسلاماً. فيكون دور التاريخ السياسي، ومعطيات (فلسفة التاريخ وقوانينه وسننه) كذلك معطيات علوم الاجتماع وفي فلك شبكة العلاقات الاجتماعية بما

٥٠ - تنظر تدويناته لذلك، في الصياغة الجديدة، ص ٣٤٩ - ٤٠٢.

٥١ - كذلك السبيل إلى إنهاء المسلمين، ص ١٤٣ - ١٧٤.

أسلفناه كمصطلح أساسي في حركة الواقع. والسيد ينطلق منهجياً من هذا، فهو يرى أن الحرب أسوأ شيء عرفه الإنسان في تاريخه الطويل، لأنها توجب قتل الإنسان ونقص في أعضائه، كما توجب هدم العمران، وإثارة البغضاء والشحناء بين البشر وإيراث الأجيال عقداً نفسية، فإذا أضطر الإنسان على الحرب - لأن عدوه جره إليها - كان الواجب أن يقتصر فيها على أقصى درجات الضرورة (٥٢). كذلك هي ظاهرة مرضية بما تفرزه من انكسارات وانهيئات في أعضاء المجتمع، لذا فهي ذاتاً قبيحة بما يتفق عليه العقلاء في ذلك، ثم يذكر (٥٣) السيد الشيرازي (دام ظلّه) صور تاريخية للحروب التاريخية وماذا جرّت على الشعوب والحضارات بما يقشع له البدن وترتجف له الروح لتجد نفسك خجلاً أمام بني جنسك كيف هؤلاء البشر جرحوا التاريخ، حتى لا تجد له موضعاً سليماً، في أي صفحت جثوت. وكان السيد يحيل المعاندين لسنة السلام في قوله لهم.. ها هو التاريخ ببابكم.

من هنا يكون الإمام الشيرازي (دام ظلّه) في منهجه الاجتهادي لم يقف فيه على قنوات الرسائل العملية، كخطوة للبعد الفردي، وإنما سار في هذا المنهج بطرقه أكثر المفاهيم التي تتحرك في فضاء العصر، لتكون هناك منظومة عملية لا رسالة عملية.. يتحرك فيها الإمام الشيرازي (دام ظلّه) في اجتهاده الفكري القرآني.

٥٢ - الصياغة الجديدة، مصدر سابق، ص ٣٤٩.

٥٣ - ينظر ن.م، ص ٣٥٤ - ٣٥٩.

مقالات

النظرة المرجعية للوحدة الإسلامية

أسرة الشيرازي نموذجاً

كنعان قاسم

أساليب الاستعمار في التفرقة الوحدة، أحد العناوين الكبيرة ومطلب للكثير من الشعوب والأقوام الذين تربطهم وشائج وروابط تجعل منهم شعباً واحداً يمتلك إرثاً تاريخياً وأدباً وعلاقات تتناغم مع مجموعة أجزاء هذه الشعوب.

والوحدة الإسلامية، هي إحدى المبادئ التي اعتمد عليها الإسلام في نشر دعوته أولاً، ومن ثم في إرساء دعائم هذا الدين وتطبيق تعاليمه على أرض الواقع.

وقد رسّخ علماء الأمة هذا المبدأ ووعوا حجم المؤامرة التي سعى المستعمرون لإيجادها داخل الوطن الإسلامي الواحد، فكانت لهم عدة تطبيقات عملية لمبدأ الوحدة الإسلامية، ونستعرض في هذه السطور لعلمين من أسرة آل الشيرازي الذين كانوا من السابقين للمناداة بالوحدة الإسلامية هما السيد محمد حسن الشيرازي والشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي واللذان وضعوا جل اهتمامهما في ترسيخ حالة الوحدة الإسلامية.

لقد توحدت إكائنات المسلمين تجاه العدو المستعمر للأراضي الإسلامية، هذا العدو القادم من وراء البحار بحملاته التبشيرية النصرانية، وقد احتل الصراع الإسلامي الأنجليزي في العراق موقفاً خاصاً في تاريخ الحركة العلمانية الإسلامية، حيث تصدى علماء الدين لكل المخططات التي كانت تكرر حالة إبقاء المستعمر في هذه الأراضي المقدسة. بل فوق ذلك كله لقد احتلت النجف وكربلاء موقع الصدارة في التزام أمور المسلمين وبقيت المدينتين مصدر إشعاع لباقي المدن الإسلامية والعواصم العربية والإسلامية. وحينما احتدم الصراع بين الشعوب الإسلامية والاستعمار، لم يكن للمستعمر بدّ إلا التخلص بأية وسيلة من خطر الارتباط الوشيع بين الشعب وقيادته.

الثورة العراقية الكبرى

وقد ظهر هذا جلياً في العراق إبان ثورة العشرين، وظهر أيضاً في ثورة التنباك بفتوى التنباك الشهيرة والتي كان صاحبها الميرزا محمد حسن الشيرازي المرجع الكبير الذي نقل مركز المرجعية في وقته من النجف إلى سامراء حيث حصل هنالك على ألفة كاملة ما بين السنة والشيعة.

وفي أيام ثورة العشرين التي جرت عام ١٩٢٠م في العراق كانت المرجعية للشيخ محمد تقي الشيرازي، وقد وقف موقفاً شجاعاً عندما احتلت العساكر البريطانية مدينة سامراء، وأخذتها من أيدي الأتراك كان الشيخ محمد تقي الشيرازي آخر من اضطر إلى المغادرة إلى الكاظمية في بغداد. حيث مكث فيها فترة من الزمن ثم

غادر إلى كربلاء حيث أسس هناك المجلس الثوري والذي قاد كربلاء والحلة والسماوة لفترة من الزمن إدارة حكومية متكاملة.

وفي كربلاء كان الشيخ الشيرازي يسعى لبعث الروح الجهادية بين المسلمين، ونهض بشجاعة للمطالبة بحقوق العراقيين سنة وشيعة وأصدر فتواه التاريخية التي أقامت العراق وأقعدته والتي أثارت الحماس والغيرة الوطنية في صفوف العراقيين واستفزت نفوسهم للجهاد المقدس ضد الاحتلال البريطاني لأرض العراق الإسلامية.

وبهذه الفتوى الشجاعة اكتسب شهرة إضافية عززت مكانته بين شيعة العراق وسنته وشاع اسمه في مختلف البلدان الإسلامية وباتت مكانته الحقيقية كزعيم روحي وسياسي قد في كل أنحاء إيران وسوريا ولبنان ومصر إضافة لمقره الرئيسي في العراق.

وقبل أن يصدر فتواه التاريخية الشهيرة بالجهاد علناً ضد المحتلين الإنجليز كان قد أفتى بحرمة انتخاب شخص غير مسلم للإمارة والحكومة، وجاءت فتواه هذه عندما فرض الإنجليز على الشعب العراقي انتخاب معتمد الحكومة البريطانية في العراق (السير كوكس) رئيساً للحكومة العراقية.

فإنه - رحمه الله - قد استشعر من هذا الإجراء الحيلة المدبرة من المستعمر الغاشم وعرف المغزى وانكشف له السرّ فعند ذاك نهض بكل شجاعة وبسالة وأدى رأيه الصائب من وحي ما يمليه عليه واجبه الديني وتكليفه الشرعي فأصدر فتواه التي قوبلت بالقبول والطاعة من قبل عشائر غرب العراق المعروفة بكثرتها السنية ومن كافة أبناء الشعب العراقي بكل مذاهبهم.

وثبت أن أول شخصية إسلامية يلتف حولها المسلمون العراقيون عبر تاريخهم دون النظر إلى مذاهبهم هي شخصية الشيخ محمد تقي الشيرازي، وهذا ما أكسب الشعب وحدة وتماسكاً تامين، وكان بيته المتواضع في كربلاء المقدسة محط أنظار الجميع من القادة والمفكرين من مختلف طوائفهم وكافة عشائر العراق للتباحث بالقرارات السياسية التي كانت تصدر هنا وهناك تباعاً، وكان الشيخ الشيرازي يعتمد مبدأ النقاش والتباحث في أي فتوى يقررها ويبلور رأيه بآراء الآخرين. فقد كان يحترم كل من يقابله بمنتهى الأدب والتواضع، وكان يقوم من مكانه عندما يدخل عليه أحد، ولكنه في نفس الوقت كان غني النفس وشديداً للغاية أمام الكفرة والأجانب المحتلين لأرض العراق الإسلامية وكان يرفض بشدة الاجتماع بأي منهم مهما كانت رتبته ومنصبه الحكومي، وقد حاول المعتمد البريطاني في العراق (السير كوكس) أن يأخذ موعداً للقاء معه عدة مرات لكن الشيخ الشيرازي رفضه في كل مرة رفضاً شديداً، وعندما ينس كوكس من تحديد موعد للقاء مسبق معه قرّر أن يدخل عليه في داره بصورة مفاجئة وبدون سابق علمٍ وهكذا دخل مجلس سماحة الإمام الشيرازي لكنه لم يجد أي ترحيب منه ولم يقم أمامه بل وجد منه الامتناع الشديد، ويقال أنه أدار ظهره عنه، فخرج المعتمد البريطاني خائباً خاسراً من بيته لا لكونه من ملة أخرى بل لكونه محتلاً غاصباً لأرض الإسلام ولأن يده ملطخة بدماء المسلمين.

امتداد الدور التاريخي

وقبل الشيخ محمد تقي كان السيد محمد حسن الشيرازي وهو صاحب فتوى التنبك الشهيرة والذي استقر

أيضاً بسامراء وذلك حين أرادت إنجلترا فرض هيمنتها على الأراضي الإسلامية من وراء حصولها على امتياز احتكار زرع التبغ في أراضي إيران الخصبة ثم تسويقها بواسطتها لا غير، فأصدر الميرزا محمد حسن الشيرازي فتواه الشهيرة بحرمة التدخين فشاعت هذه الفتوى بين السنة والشيعة وقد طبقها سائر المسلمين، حتى قيل أن رجالات البلاط القاجاري في إيران امتنعوا بدورهم عن التدخين، وحتى أن زوجة السلطان ناصر الدين شاه ملك إيران امتنعت في ذلك الوقت.

قوة القرار المرجعي

لما كان رد الفعل العنيف الذي أحدثته الفتاوى التاريخية على مستوى توحيد التنفيذ بوجه الحكومة لم يكن أمام السلطان ناصر الدين من بدّ سوى الرضوخ لمطلب الجماهير المسلمة وزعيمها الروحي الإمام الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي فبادر على التو إلى إلغاء امتياز التبغ وهو الامتياز الذي كانت حكومته قد منحتة لشركة بريطانية احتكارية.

ومن الملفت للنظر انتخاب الميرزا السيد الشيرازي سامراء التي تسكنها أكثرية سنّية حيث يوجد هناك مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام)، وموقع غيبة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) ومن هذه الناحية تعتبر سامراء مدينة مقدسة جداً بالنسبة للشيعة التي يسافرون إليها جماعات وفرداً لزيارة العتبات المقدسة ولذا فهي ملتقى للسنة والشيعة، وفي حينها كانت هناك انتماءات مذهبية وطائفية على أشدها، افتعلها الأتراك حتى وصلت إلى طابع التحدي حتى أن السيد الإمام الشيرازي كان يأمل أن يجرب أن يكون التعايش السلمي بين أبناء الدين الواحد هو ممارسة عملية بسيطة وليست معقدة. لقد حاول السيد بكل جهده أن تسود روح التعايش والتآلف بين السنة والشيعة، وما أن يحصل أي شقاق أو اختلاف كان يبادر على الفور إلى تطويقه وحله بالحسنى، لأنه كان يعلم جيداً أن القوى الأجنبية الطامعة تتربص وتتحين الفرص لاستغلال أي نزاع أو تصارع بين الطوائف الإسلامية في تحقيق غاياتها الاستعمارية وفرض هيمنتها على المسلمين جميعاً، ومن هناك كان يحرص على وحدة الكلمة الإسلامية.

وهكذا سعى السيد محمد حسن الشيرازي وفعلاً تحصل له ذلك بعد أن حصل شجار بين شخص سني وآخر شيعي وتطور الموقف حين جاءت القوات البريطانية رفض السيد الشيرازي وذلك بعد علم البريطانيين أن الأتراك كانوا مع السنة، فقال لهم السيد الشيرازي: لا حاجة لدس أنف بريطانيا في هذا الأمر الذي لا يعنيها، لأننا والحكومة العثمانية على دين واحد، وملة واحدة. وقد كان الوالي العثماني حسن باشا هو منشأ النزاعات في سامراء لحقده الدفين على السيد الشيرازي فحينما زار الوالي الشيرازي لم يعتن به الأخير جرياً على عادة السيد في عدم الاهتمام بالمسؤولين الحكوميين، فحقد الوالي عليه وأوغر الحقد في قلوب بعض المسؤولين المتعصبين من الأهالي في سامراء ممن ثقل عليهم توطن الشيرازي في بلدهم.

وقد مارس السيد محمد حسن الشيرازي الحل بطريقته المعهودة المتواضعة والموضوعية حيث جعل المسلم السني والمسلم الشيعي سواسية في الاهتمام والحديث، وذكرهم أن الأعداء على أبواب البلاد، وهم في أشد الحاجة لأن يتحالف المسلمان لكي يدخلوا البلاد ويسيطروا عليها تحت شعار (فرّق تسد).

ومن موافقه في هذا الصدد تقديم منحة سخية عندما أراد جماعة من أهل السنة تكملة بناء مدرسة دينية

لعدم تمكنهم من إكمال بنائها لأنهم كانوا يفتقدون المال اللازم لها، ولم يكن أمامهم من حيلة سوى الرجوع إلى السيد الشيرازي لطلب المساعدة فقام على الفور بتلبية طلبهم.

وأخيراً لم تكن المحنة وحدها هي التي أجبرت السيد محمد حسن الشيرازي والميرزا محمد تقي الشيرازي في كسب المذاهب الأخرى ولكنه الإحساس الصادق والأمين من قبلهم للإسلام والمسلمين، وشعورهم بعمق الهوة التي يخلقها الشقاق بين المسلمين، وإيمانهم الصادق بالاشتراك العظيم ما بين المسلمين بالدين والتوحيد والنبوة والقرآن والمصالح والعادات والتراب.. الخ. لذلك فإنك تجد أن الشعب المسلم قد نفذ فتاواه رغم أنه ما زال يقلد أئمة أبو حنيفة والشافعي والحنبلي والمالكي. وهذه الوجدانية في أيام المحنة كانت هي نفسها في أيام الرخاء بعد أن هدأ الوضع وسكنت الأمور السياسية بدليل أن الإسلام مازال قوياً تجاه كل الهجمات التي تحاول النيل منه.

ونستشف مما تقدم أن هذه الرموز الإسلامية قد وضعت الإطار العام للوحدة الإسلامية، وطبقها على أرض الواقع ومن أعلى المواقع القيادية حيث أن مرجعية السيد محمد حسن الشيرازي وكذلك الشيخ محمد تقي الشيرازي كانت عالمية بما تعنيه كلمة العالمية من نافذية القرار وسلطته القانونية والشرعية. واليوم وبعد عشرات السنين من هذه التجربة الإسلامية الرائدة يقف حفيد هذه الأسرة المعطاء المرجع الديني الأعلى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) على رأس المنادين بالوحدة الإسلامية، حيث جعل من مبدأ الوحدة همماً دائماً فلا تجد كتاباً من مؤلفات سماحته إلا وتطرق فيه إلى قضية الوحدة وكيفية تحقيقها، ويؤكد في أكثر من مناسبة أن هذه الوحدة لا تتحقق بالشعارات فقط، بل لا بد من تضافر الجهود الإسلامية، للوصول بهذا الهدف للتحقيق..

المصادر

- ١ - أسرة المجدد الشيرازي. نور الدين الشاهرودي. ١٩٩٠، ص ٤٠.
- ٢ - خطاب الوحدة الإسلامية. زكي الميلاد. ١٩٩٦.

مقالات

تجربة الاستنساخ بداية النهاية أم فتح بشري جديد

عقيل عبود

شهوة المعرفة لدى الإنسان صارت تدفع العلماء إلى حدود قصوى من التجريب العلمي لكن التاريخ علمنا أن التجارب تتحول يوماً ما إلى ممارسات شائعة وبعدها تصبح ظواهر اجتماعية وهاهو التجريب العلمي يفتح باباً خطيراً وصادماً لمألوف الإنسانية والمجتمع، فبين الحين والآخر يفاجئنا العلماء بكشف علمي جديد أو تجربة جديدة تؤدي إلى نتائج متعددة كبرى في شتى مناحي الحياة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً فكل جديد تتبعه ثورة شاملة فانشطار الذرة وصناعة الكمبيوتر وتجار الهندسة الوراثية كل ذلك تلتته ثورات تغيير جذرية امتدت لتصل إلى كل مناحي الحياة وبالأمس القريب أجرى العالمان د. جيرى هولم وروبرت ستيلمان تجربة بالغة الخطورة ومتعددة النتائج لاستنساخ الأجنة والحقيقة أن تجربة جيرى وروبرت ما هي إلا الأخيرة في سلسلة متتابعة من المحاولات المختلفة التي تمت عبر القرون الثلاثة الأخيرة فأول تجربة تلقيح صناعي في العالم أجريت عام ١٧٩٩ وأول محاولة لعمل أطفال الأنابيب في الحيوانات كانت عام ١٩٤٤ وأول تجربة تلقيح ناجحة خارج الرحم كانت عام ١٩٥١ وتمّ تجميد الحيوانات المنوية لإعادة التلقيح بها في الماشية عام ١٩٥٢ وفي الإنسان عام ١٩٥٣، أما تجميد الأجنة لإعادة زراعتها فقد تمّ عام ١٩٧٣.

أول طفلة أنابيب في العالم كانت الإنجليزية لويزا براون ١٩٨١، أما استنساخ الأجنة فقد بدأت التجارب عليها في الأبقار عام ١٩٨١ إلى أن جاء عام ١٩٩٣ وأثناء انعقاد مؤتمر جمعية الخصوبة الأميركية بمونتريال بكندا ليعلن د. جيرى هولم عن نجاح تجاربه لنسخ الأجنة في الإنسان.

إن فكرة تحسين النسل البشري بطريق الاستنساخ هي فكرة قديمة نسبياً فقد كتب عنها بعض العلماء والكتاب كنوع من الخيال العلمي المستقبلي فكتب عنها الباحث الدوس هيكسلي منذ ٦١ عاماً والاساس الذي استند عليه أوحى بأفكار مماثلة ومنها فكرة فيلم (الحديقة الجوراسية) الشهير الذي يدور حول فكرة العثور على حشرة صغيرة قدر عمرها بأكثر من ١٣٥ مليون سنة وطولها ٣ ملم وجدت داخل ترسبات الكهرمان الذي حافظ عليها سليمة. وبذل العلماء جهوداً جبارة لاستخراج مادة DNA الخاصة بالديناصورات من هذه الحشرة التي كانت تتطفل على الديناصورات على أساس أن مادة DNA لا تفنى ولا تتأثر مهما مرّ عليها الزمن وببذل العلماء جهوداً أخرى لإنتاج ديناصور جديد من هذا الحامض النووي. وفكرة أخرى ظهرت في أحد كتب الخيال العلمي عن محاولة أحد العلماء التسلط على أهل الأرض باستخدام شعرة من شعر هتلر واستخلاص مادة DNA منها وتخليق نسخ ضخمة من هتلر يكون هو زعيمهم للسيطرة على الأرض.

هذا هو الجانب الخيالي في الموضوع، أما الجانب الحقيقي المتمثل في تجربة جيرى وروبرت فيعتمد على أن أصل أي كائن حي هو خلية واحدة تنقسم إلى اثنتين ثم أربع وهكذا، والذي حدث أن العالمين استطاعا فصل الخليتين الأوليتين كميائياً وهذا يتم بصورة طبيعية أثناء تكوين التوأم في رحم المرأة ثم بعد ذلك حفظا إحدى

الخليتين مجمدة ولم يسمح لها بالتكاثر ثم أذابا الغشاء المحيط بالأخرى واستعاضا عنه بغشاء صناعي مكون من مادة هلامية مستخلصة من أعشاب بحرية ثم سمحا لهذه الأجنة المستنسخة بالنمو وحصل العالمان على ٤٨ نسخة جديدة من أصل ١٧ جنيناً في بداية التجربة ولكن أياً من هذه الأجنة لم يعيش أكثر من ستة أيام لأن جيري وروبرت قاما بتلقيح البويضة الأم بحيوانين منويين والمعروف أن هذه الأجنة تموت مبكراً في مرحلة العلقه، والنتائج الأولية لهذه التجربة مثيرة وخطيرة في آن واحد وتتلخص في:

- ١ - أنه يمكن استنساخ أي عدد من الأجنة من أصل خلية واحدة.
- ٢ - أنه يمكن الاحتفاظ بأي من هذه النسخ المتطابقة وراثياً مجمدة لأي فترة ثم يسمح لها بالنمو مرة أخرى مما يؤدي إلى نمو جنينين متطابقين وراثياً ومختلفين عمراً ولأي فترة مطلوبة حسب طول أو قصر فترة التجميد.

إن الآثار المترتبة على هذه التجربة مرعبة حقاً وقد تكون في غالبيتها سلبية إذا أسيء توزيعها وقد تكون في غالبيتها إيجابية إذا أحسن توزيعها مثلها تماماً مثل الانشطار النووي ويمكن تلخيصها في ما يلي:

أ - الآثار السلبية:

أولاً: من الناحية الأخلاقية: قد يؤدي الحصول على نسخ بشرية متطابقة إلى استخدام أعضاء هذه النسخ كقطع غيار فإذا أصيب الكبد مثلاً إصابة جسيمة استدعت تغييره بآخر فما على الطالبين إلا تنمية النسخة الأخرى المجمدة إلى مرحلة مناسبة تمكن من إنتاج الكبد منها لزراعته مكان الآخر الذي أصابه العطب ثم يلقي بما تبقى من هذه النسخة في سلة المهملات وقد يؤدي هذا إلى استحداث سوق رائجة لهذه التجارة المرعبة في تلك المجتمعات الاستهلاكية، وقد يؤدي ذلك إلى استعاضة الأسرة عن أحد الأبناء الذي توفي بالجنين الذي فصل عنه في البداية ليكون صورة طبق الأصل من المتوفى وقد يؤدي ذلك إلى الحصول على توأم مختلفة في العمر كأن يكون أحدهما عمره خمس سنوات والآخر عمره عشر سنوات مثلاً.

أما المضحك المبكي في هذا الأمر هو أن المرأة قد تحمل توأمها الذي فصل عنها وهو جنين لتلد بعد ذلك فتصبح أما لأخيها أو أختها وقد تحمل توأم زوجها الذي فصل عنه وتم تجميده لتلد بعد ذلك فتصبح أما لشقيق زوجها.

ثانياً: من الناحية الاجتماعية.. إن استنساخ الأجنة قد يؤدي إلى القضاء على مفهوم العائلة تماماً لأن هذه النسخ ليست بحاجة إلى أب أو أم بقدر ما هي بحاجة إلى مؤسسة تقوم برعايته وقد تم إنمائها في أجهزة خاصة وعندئذ سوف تصبح مصطلحات الأمومة والأبوة والتواصل الأسري والعاطفة من مخلفات الماضي السحيق.

ثالثاً: القضاء على تفرد الإنسان واستقلاليته.. فلا ريب أنه حق لكل منا أن تكون له شخصيته المستقلة وصفاته التي لا يشاركه فيها أحد وإنتاج النسخ المتشابهة ذات الصفات الموحدة يقضي تماماً على هذا التمايز إذ سيصبح الإنسان نسخة مكررة لآلاف غيره.

أما رابع هذه الآثار فيمكن تسميته الإنسان السوبر: حيث أن اختيار صفات وراثية معينة لتكون الأصل في إنتاج هذه النسخ المتشابهة من ناحية القوى الجسمانية والأداء العقلي سوف يؤدي إلى استحداث مجتمع العمالقة ولنا أن نتخيل مجتمعاً أفراداً في قوة أبطال المصارعة أو في عقلية علماء الذرة.

أما الآثار الإيجابية وهي موضوع اختلاف أخلاقي كبير.

١ - دراسة الأمراض الوراثية وطرق علاجها فلا شك أننا نعرف القليل عن الأمراض الوراثية مثل ضمور المخ الوراثي وعمى الشبكية الوراثي وأمراض الدم والصرع الوراثي ولما كانت معرفتنا قليلة فإن علاج هذه الأمراض غير ناجح، فإذا استخدمنا نسخاً مصابة بأمراض وراثية فإنه يمكننا دراستها باستفاضة وروية.

٢ - مساعدة المصابين بالعقم.

٣ - دراسة وعلاج التشوهات الجنينية.

٤ - نقل الأعضاء.

ولكن.. هذه التساؤلات الحائرة وغيرها تنقل هذه الإيجابيات في معظمها فوراً إلى دائرة السلبيات فهي تهدر كرامة الإنسان وشرف وجوده.

إن مبعث القلق هو النظرة إلى الإنسان على أنه مجرد أعضاء فيه خطأ فاحش إذ أن الإنسان (النفس) لا ينفصل بحال من الأحوال عن الإنسان (الجسم) أما عن العامة فقد ظهرت استطلاعات الرأي التي أجرتها معظم المجالات الغربية ومحطات الإذاعة والتلفزة أن الغالبية العظمى لا توافق على استنساخ الأجنة مهما كانت المبررات، وتعتبرها عملية غير أخلاقية وتطالب بأن توقف هذه الأبحاث ويرون أنه حتى لو وضعت قوانين لمنع أي سلوك غير قويم بشأنها فلن يكون هناك ضمان من ظهور ديكتاتور أو متعصب أو مجرم يسعى إلى تحقيق أهداف غير إنسانية برغم وجود الضوابط والموانع.

وإذا أردنا أن نعرف رأي الإسلام في هذه العملية، نجد الإجابات الشافية في فتاوى المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي (دام ظله) فسماعته يرى أن أصل العملية الجواز إلا أن يكون محذور شرعي في ذلك مثل اختلال النظام ويقصد بالمحذور الشرعي؛ أن يقوم الفرد أو الجماعة بعمل يترتب عليه انتهاك الضوابط الشرعية التي وضعها الله تعالى للمجتمع ويقصد باختلال النظام أن يقوم الفرد أو الجماعة بعمل يترتب عليه اضطراب الوضع الاجتماعي والإخلال بالنظام الطبيعي الذي ارتضاه الله سبحانه للمجتمع.

فمعنى ذلك أنه إذا كان العمل ضمن الأطر الشرعية ولا ضرر فيه ولا ضرار ولا يخل بالنظام الطبيعي للإنسان أو الحيوان أو الكون على التفصيل المقرر في الكتب الفقهية ولا يؤثر على المصلحة العامة في المستقبل سلباً فهو مباح (٥٤).

فهل نعتبر هذه آخر صرعة من صرعات المجتمعات الغربية أم أنها صرعة من صرعات جنون الغرب الذي يحاول من خلالها خلخلة البنى الاجتماعية والمرتكزات الطبيعية للبشرية... إن كل ما نسمع ونرى إنما هو فعل الأنظمة السياسية التي تسعى لتأمين مصالحها ولا تنظر لأي اعتبار آخر سواء كان اجتماعياً أم خلقياً.

إن مسألة الاستنساخ لو كانت تدرّ أرباحاً في المجتمعات الاستهلاكية فسوف لن تتأخر المؤسسات في سبيل دعم جهود المشرفين عليها ضاربين عرض الحائط بكل القيم والمعتقدات سواء كانت دينية أم اجتماعية. ولا يسعنا إلا أن نقول في هذا الجانب: اللهم احفظ لنا مجتمعاتنا من عبث هؤلاء.

٥٤ - الاستنساخ البشري في رأي الإمام الشيرازي (دام ظله) ص ١٣.

مقالات

حقوق الإنسان سبق حضاري للإسلام

إيمان محمد

الحق.. هذه الكلمة التي كانت وما تزال كالسيف الفاصل بين الظالم والمظلوم حتى جاء الإسلام الذي قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورة وأوسع نطاق.

إنّ حقوق الإنسان - المهددة اليوم - قد أقرها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، فسبق بها كل من جاء بعده، وخصوصاً ما جاء به القرن الثامن عشر الذي عدّ قرن حقوق الإنسان.

قام الإنسان على دعائم أخلاقية وروحية. وفي القرآن الكريم خطاب صريح للإنسان وعناية بالغة به، وقد ورد لفظ الإنسان في ما يقارب لـ (٤٥) موضعاً حيث تقوم حقوق الإنسان في الإسلام على الحريات التي تتفاخر الحضارات الغربية اليوم بالكشف عنها، متجاهلة أن الإسلام قد نادى بها قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، وهي:

أولاً: حقه في الحياة.

ثانياً: حرية الرأي والتعبير.

ثالثاً: حرية العمل.

رابعاً: حرية التعليم.

خامساً: حرية التملك والتصرف.

سادساً: حرية التنقل والسفر.

وقد ذكر الإمام الشيرازي أكثر من مئة نوع من الحريات في كل مجالات الحياة، بينما لا نجد هذه الحريات في أرقى الحضارات الإنسانية التي نشأت قبل الإسلام وبعده. ولم يغفل الإسلام عن أهم مسألة تخص الإنسان وهي مسألة حقوق الإنسان، لأنها وما تزال الشغل الشاغل لبني البشر ومنذ أقدم العصور، وستظل كذلك طالما بقي الصراع بين قوى الشر وقوى الخير.

لقد بنيت الحضارة الإسلامية على الدين الإسلامي الحنيف الذي نشأ في الجزيرة العربية وانتشر منها بعد ذلك إلى بلدان واسعة وكان ذلك خلال فترة قصيرة من الزمن، على عكس ما حدث في الحضارة الغربية التي قطعت شوطاً طويلاً من الزمن كي تصل إلى بلورة الحقوق الأساسية للإنسان والتي تمخضت نتيجة قرون طويلة من الصراعات التي تمخضت عن مأس عديدة حتى وصلت إلى بلورة المعنى الحديث لمفهوم حقوق الإنسان.

عندما بزغ الإسلام في الجزيرة العربية وبدأ بالانتشار، كانت (الأعراف) تلعب دور القوانين والأنظمة حيث كان المبتدعون لتلك الأعراف بشراً مثل غيرهم من البشر يطمحون إلى أن يعيشوا حياتهم بحرية وتحت أفضل الشروط الممكن خلقها وتكوين مفرداتها.

وكانت القيم الجاهلية هي السائدة في حياة العرب آنذاك، ومن بينها الأخذ بالثأر ولا تزال بعض آثارها قائمة بين القبائل في بعض البلدان العربية، وكذلك الغزو والتناحر، وإلى جانب ذلك هنالك قيم خيرة كالجود والكرم

والوفاء وثُصرة المظلوم وحماية اللاجئ، وغير ذلك من القيم الكثيرة التي تعتبر أساساً لحقوق الإنسان آنذاك. إن الإسلام نشأ وترعرع في الأماكن القليلة السكان وفي مجتمع يعيش على قيم قبلية بالدرجة الأولى، وكانت المدن لا تتعدى كونها قرية كبيرة تختلط فيها قيم البداوة مع بعض القيم التجارية، وكان إلى جانب القيم الخيرة التي أشرنا إلى بعضها قيم بدوية شاذة.

لقد بقيت هذه القيم تفرض وجودها حتى بعد اعتناق الإسلام، ويتضح هذا تمام الوضوح في مسألة معالجة الخلافة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كانت معالجة سياسية بحتة، كما تشير المراجع العديدة في هذا الشأن. وكان واضحاً أن المنطق الذي ساد في المناقشات هو منطق القبيلة بمعنى أنه لم يكن للعقيدة دور يستحق الذكر في ترجيح وجهات النظر المتعارضة.

رغم ذلك كله فإن الإسلام لم يتفوق في مهده، بل إنه وخلال فترة وجيزة توسع في البلدان المجاورة وانتشر في العالم الواسع.

وبعد هذا التوسع الذي أحرزه الإسلام في العالم، جاءت المراحل الحديثة والتي عانت فيها البلدان الإسلامية من الاحتلال الغربي حتى بدأت تتضح معالم الصراع الكبير الذي قام ويقوم عند مواجهة الإسلام للحياة العصرية، ومع المحاولات التي تبذلها الشعوب الإسلامية للاستقلال مجدداً من هيمنة الغرب.

إن الحكام في هذه الأنظمة التي تسلطت في غفلة من الزمن وضمن سلسلة من الظروف التاريخية، يسرقون أموال البلاد ويرتكبون أخطأ أنواع الفساد، ويستحوذون على كل ثروات تلك البلدان، ويسعون لإبقاء شعوبهم تحت وطأة الجهل والفقر والتخلف... إلى آخر ما هنالك من ممارسات معروفة تتداولها وسائل الإعلام العالمية لإبراز الإسلام وكأن هذه العيوب في الشريعة الإسلامية نفسها وفي دستورها، دون إلقاء الضوء على المتسلطين على الشعوب الإسلامية.

إن الإسلام أتى بقيم كثيرة تتنافى مع معظم المظاهر التي تشوه بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة. لكن على الرغم من كل ذلك فإن الإسلام يبقى الدعامية الأساسية لكل مجتمعات بلدانه المختلفة كما تبقى السلطات الحاكمة تستظل به وتدعيه.

إن الدين يعني الإذعان المطلق لتعاليم الله (سبحانه وتعالى) وأوامره التي أوحى بها بواسطة الوحي الأمين إلى خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله) والأخذ بهذه الأوامر في الحياة والسعي لتطبيقها. وقد جاء في القرآن الكريم (إن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه).

الإسلام دين القانون والأخلاق

إن القانون والأخلاق في القرآن الكريم شيء واحد. فالسلوك الديني في كليهما يشمل أيضاً السلوك الدنيوي، وكل أمر فيهما موحى من عند الله. والقرآن يشمل قواعد الآداب، وصحة الجسم، والزواج والطلاق، ومعاملة الأبناء والحيوان، والتجارة والسياسة والاقتصاد، والدين والعقود والوصايا، والجريمة والعقاب والحرب والسلام.

إن الإسلام يشمل في مفهومه العام حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، والإسلام ينظم سلوك الفرد والدولة في كل مناحي الاهتمامات الإنسانية، رابطاً النواحي الدنيوية بالنواحي الأخروية في كل متماسك لا ينقسم حيث تشكل

إرادة الله (جل شأنه) جزءاً من العلاقة المتبادلة بين البشر ومن العلاقة بين الله الخالق والإنسان المخلوق. إن الإسلام هو آخر الأديان السماوية، ومحمد (صلى الله عليه وآله) هو خاتم الرسل، والقرآن هو الكتاب المنزل الذي يتضمن آخر الرسالات الإلهية وفيه الحقيقة الخالدة والشاملة، وهو عالمي في تطبيقه وأزلي في مداه وكذلك النظام الإسلامي.

وقد أولى الإسلام الأهمية لمسألة حقوق الإنسان من خلال العديد من آيات القرآن الكريم. ومن بينها ما جاء في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى، فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان، ذلك تخفيفاً من ربكم ورحمة، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم). سورة البقرة: الآية ١٧٨.

إن تطبيق حقوق الإنسان كما يطرحها الإسلام ليس بالأمر المستحيل أو الصعب، بل على العكس من ذلك تماماً، فأقصر طريق لهذا التطبيق هو العودة إلى منهج الإسلام المستند على القرآن الكريم وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله). إن المنهج الذي يستمد أسسه من تعاليم السماء ليس قابلاً للزوال، لأنه تشريع إلهي وهو صالح في جميع جوانبه لكل مكان وزمان بما هو تخطيط يعلو على العقل البشري ويسمو على فلسفاته.

ضمان حق الحياة

لقد شرع الإسلام حقوقاً تحفظ حياة الإنسان، وتشدّد على منع الأذى قبل أن يشدد في العقوبات، فلإنسان كرامة يستحقها بصفته الإنسانية بقطع النظر عن جنسيته ولونه ومعتقداته وسانر الاعتبارات الاجتماعية وهي كرامة تلازمه حياً وميتاً.

فهو مستحق للتكريم في حياته وبعد موته، وقد جاء في الحديث الشريف أن جنازة مرت على النبي (صلى الله عليه وآله) فوقف فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال (صلى الله عليه وآله): (أليست نفساً)؟ وقد قرر الإسلام عقوبة القتل عمداً بالقتل إلا إذا عفي عن القاتل من قبل أهل القتل لكنه فتح أبواباً كثيرة للعفو فيما دون ذلك. فالذي أذى شخصاً بجسده يعرض أما بالمال أو بغير ذلك، ولكن الإسلام شرع في أساس العقوبات القصاص، وهو معاملة الجاني بمثل اعتدائه فإن القصاص معناه المماثلة ولا يسمى القصاص حداً لأنه حق للعبد له أن يعفو.

إن حق الإنسان في الحياة، حق اعترفت به العقائد السماوية. ولو تأملنا في القرآن الكريم لوجدنا إن للإنسان الحق في العيش منذ أن يتكون جنيناً ذا روح في رحم أمه. ولهذا السبب حرم الإسلام الإجهاض وحفظ لهذا الجنين حقه في أن يبصر نور الحياة.

وجوب المحافظة على النفس الإنسانية

وقد اعتبر الإنسان مكلفاً بالمحافظة على حياته. فالروح بالمفهوم القرآني أمانة يجب الحفاظ عليها وصيانتها من العطب والتخريب أو القتل، ولذا كان الانتحار محرماً وإن لم يكن ثمة عقاب دنيوي لأن المنتحر يكون قد مات، إلا أن الله (سبحانه وتعالى) يحاسب المنتحر بأشد العقوبات لأنه لم يحافظ على ما أوتمن عليه من قبل خالقه.

وكذلك فقد صان الإسلام حياة الأطفال، فأمر بعدم قتلهم تحت أي ظروف. يقول تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) ويقول تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم).

ففي الآية الكريمة الأولى كشف لموقف الإنسان الذي يخاف إن رُزق بطفل أن يصاب بالفقر، بمعنى أن يأخذ هذا الطفل جزءاً من الرزق ويصبح الرزق لا يكفي ولا يكفي طفله، وعلى هذا أشار بعض المفسرين إلى أن المقصود بذلك أيضاً قتل الأجنة بعملية الإجهاض خوفاً من الفقر.

لقد جاءت نظرة الإسلام للحياة والآخرة نظرة توازن. فالذين يتكاسلون في الحياة ولا يهتمون بها يضعون كل اهتمامهم في الحياة الآخرة الموعودة، ينسون أن الحياة الأخرى الموعودة لا يكون فيها سعادة إلا بقدر التوفيق والإخلاص في حركة الحياة الدنيا.

من هنا كانت الحياة واجباً إلهياً قبل أن تكون حقاً إنسانياً، فهي فريضة إلهية وواجب شرعي لا يجوز حتى لصاحبه أن يفرط فيه. فالإنسان يأثم إذا قنط من رحمة الله، ويأثم إذا فرط في توفير مقومات الحياة غذاءً وكساءً وأمناً لذاته حتى ولو اضطر في سبيل ذلك إلى القتال ضد الظالمين الذين يريدون العبث بالحياة.

المسلمون في العالم

المسلمون في هولندا

إعداد: محمد حسين

دخل الإسلام إلى أوروبا بعدة طرق كان أهمها عن طريق المهاجرين الذين وفدوا إليها من الشرق. وهولندا إحدى البلدان الأوروبية التي قصدها المهاجرون، وازدادت حملات الهجرة في القرن العشرين الميلادي نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية في بلاد المسلمين ويبلغ عدد المسلمين في هولندا ٧٥٠ ألف مسلم وترجع أصول أكثر المسلمين المقيمين في هولندا من تركيا والمغرب. والباقيون من الهند وباكستان والعراق وإيران ولبنان وسورينام واندونيسيا.

ظاهرة اعتناق الإسلام

هل اعتناق الإسلام يحدث كنتيجة للنشاطات التي تقوم بها المراكز الإسلامية والمساجد والإعلام أم يعود لأسباب ذاتية تتعلق بالفرد الأوروبي الذي يجد في الإسلام حلاً للمشاكل والصعوبات التي يعانيتها؟ وما هي الدوافع النفسية والاجتماعية والدينية والظروف التي دفعتهم لاعتناق الإسلام وهل هناك تأثير للعمر والجنس والتعليم والجو الاجتماعي في اتخاذهم قرار اعتناق الإسلام؟

كل هذه الأسئلة تدعونا للبحث في هذه الظاهرة فنأخذ عينة من المجتمعات الغربية ونركز عليها لإبراز هذه الظاهرة بشكل أوضح وقد اخترنا من بين تلك المجتمعات المجتمع الهولندي ومثلما تؤكد المصادر التي بحوزتنا فإن هولندا كان فيها إلى حد الخمسينيات من هذا القرن عدد ضئيل من المسلمين حيث كان عددهم عام ١٩٦٠م (١٤٠٠) مسلماً فقط، وقد ارتفع هذا العدد عام ١٩٩٢ إلى ٤٨٤ ألف مسلم حيث يشكلون نسبة ٢,٣% من مجموع السكان الهولنديين البالغ عددهم أكثر من ١٦ مليون نسمة في ذلك العام ثم ارتفع العدد إلى أكثر من ٧٥٠ ألف مسلم اليوم وهو في تزايد مستمر. وأخذ الإسلام يشكل الدين الثاني في الدول الغربية ومنها هولندا حيث تبلغ نسبة المسلمين ضعف مجموع بقية الديانات الأخرى عدا المسيحية. كما إن عدد المساجد والمراكز الإسلامية في تزايد مستمر في هولندا حيث يبلغ أكثر من ٤٠٠ مسجداً وحسينية ومركزاً. في حين أن عدد الكنائس في تناقص، فقد قامت الحكومة الهولندية بتدمير ١٢ كنيسة في مدينة لاهاي كانت مهجورة وأبوابها موصدة لعدم ذهاب الناس إليها، وقامت بإنشاء شوارع ووحدات سكنية عوضاً عنها. في المقابل أنشئ أكثر من ١٨ مسجداً في هذه المدينة وهذا يوضح عظمة الإسلام وتنامي نفوذه في أوروبا.

لقد أنشأ المسلمون العديد من المساجد والمراكز الإسلامية لممارسة الشعائر الإسلامية، وأماكن لإقامة النشاطات الاجتماعية والتعليمية والثقافية، وفي هولندا هناك ٤٠٠ مسجداً موزعة على ١٢٨ مدينة وتتركز هذه المساجد في لاهاي حيث يوجد أكثر هذه المساجد فيها، وتوجد هناك منات المنظمات والجمعيات الإسلامية تمارس أنواع النشاطات ومن أبرز تلك المراكز هو مركز المعلومات الإسلامي وهو من أشهر المؤسسات في

هولندا ذات الصلة بالعمل التبليغي والإرشادي. وقد تأسس هذا المركز في لاهاي عام ١٩٨٠ من قبل المسلمين الهولنديين وعلى رأسهم عبد الواحد (فان بومل) الذي اعتنق الإسلام عام ١٩٦٧ ودرس العلوم الإسلامية لمدة أربع سنوات في تركيا وقد كان مديراً للمركز منذ تأسيسه حتى عام ١٩٩٣ حيث يديره حالياً السيد عبد القيوم وهو من مسلمي سورينام، وهي مستعمرة هولندية سابقة ويذكر السيد عبد القيوم بأنه عادة ينصح الهولنديين الراغبين في اعتناق الإسلام والنطق بالشهادتين بالتريث حتى يأخذوا فكرة كافية عن الإسلام. وأن تتوضح لهم قواعد وتعاليم الإسلام بصورة وافية حتى يتمكنوا بواسطتها من تكوين قناعات متينة يمكن أن تكون أرضية صلبة لاتخاذها نتائج ومسؤوليات. وذلك من خلال دورات تستمر ثلاثة أسابيع في المركز المذكور بعد ذلك يكون المشاركون مستعدين للنطق بالشهادتين.

يقوم المركز بهداية حوالي ١٠٠ هولندي وهولندية إلى الإسلام سنوياً. وهناك أيضاً منظمة تسمى "النساء" في أمستردام تأسست عام ١٩٨٠ وتقدم هذه المنظمة العديد من النشاطات التي تتركز في إعطاء محاضرات ومعلومات حول الإسلام للواتي اعتنقن الإسلام ويرغبن بتلقي المزيد من المعرفة حول الإسلام. وهناك كذلك الإذاعة الإسلامية الهولندية التي تهتم بعرض الآراء الإسلامية والفكر الإسلامي ومتابعة شؤون المسلمين وتقارير عن أوضاعهم وما تعرضه وسائل الإعلام الغربية وتعد ندوات وحوارات مع مفكرين مسلمين، كما تتضمن مناقشة القضايا الهامة للمسلمين سواء خارج هولندا أو المقيمين فيها. ويعتمد موقف الإذاعة الإسلامية الهولندية على التنديد بالعنف واستخدامه أو المشاركة فيه بأية طريقة. وتشجيع الحوار بين الديانات السماوية الإسلام والمسيحية واليهودية والتركيز على تفادي الانحراف.

ومن الجدير بالذكر أن النساء يشكلن الغالبية ٨٠٪، وإن هذه النسبة العالمية بين النساء الهولنديات هي على العكس منها بين النساء الغربيات حيث نسبة اللاتي يعتنقن الإسلام تبلغ في أميركا ٥٠٪ وفي أوروبا هي ٣٢٪ ويحاول لاري بوستون تفسير هذه الظاهرة، أي انخفاض نسبة اعتناق الإسلام بين النساء الأوروبيات عنه بين النساء الأمريكيات فيقول: إن إعلام الغرب يصف المرأة المسلمة على أنها محجبة منعزلة غير متعلمة واعتبارها أكثر قليلاً من المواد المملوكة من قبل الرجل مما يجعلها مدانة بنظر المرأة الغربية المعاصرة، كما أن الملابس التقليدية للمرأة الشرقية وأسلوبها الاجتماعي لا يمكن اعتبارهما كقاعدة في البيئة الغربية. ويقوم الإعلام الغربي بتضخيم قضية استبعاد الرجل للمرأة، مما يؤثر في تشويه صورة المرأة، كل ذلك يمكن أن يكون سبب إغراض المرأة عن اعتناق الإسلام.

إن وجود المسلمين في المجتمع الهولندي له تأثير كبير في ظاهرة اعتناق الإسلام حيث يوجد حوالي ٧٥٠ ألف مسلم حالياً. كما أن هذا العدد من المسلمين لا يعني بالضرورة أنهم كلهم ملتزمون بالتعاليم والأحكام الشرعية أو أن أفكارهم وسلوكهم نابعة من شعور ديني محض. رغم أنهم يُصنفون رسمياً من المسلمين. أما عن دوافع التحول الديني فيشير العالم النفسي المختص بالديانات وليم جيمس إلى أن اعتناق الديانات الجديدة هو عملية تدريجية أو فجائية عندما يتنازع الشخصية شعورين أهمهما شعور واعي بالخطأ والتعاسة يتحول بعدها إلى شعور واعي بالصواب والسعادة يترسخ تدريجياً في الحقائق الدينية. ويعرّف عملية التحول الديني بأنها في جوهرها ظاهرة عادية في مرحلة المراهقة حين يجتاز المراهق هذه المرحلة نحو النضج والانتقال من عالم الطفولة إلى الحياة الناضجة بما تتضمنه من مشاعر روحية وتطور عقلي واسع.

وذكر أحد المعتنقين للإسلام أنه بعد رفضه للدين المسيحي قرأ البوذية وبعض الفلسفات الشرقية الأخرى وبدأ يبحث عن أيديولوجيا أو فلسفة جديدة تلبي احتياجاتهم الروحية والفكرية وذكرت سيدة بأنها سافرت إلى الهند في السبعينيات بحثاً عن قيم جديدة وجوانب روحية ولما سؤلت لماذا اخترت الهند بالذات أجابت: لقد كان ذلك رانجاً في أوربا بأن من يبحث عن القضايا الروحية فعليه أن يسافر إلى الهند كما أن شيوع الفلسفات الهندية والرياضات الروحية آنذاك في أوربا يعزز ذلك الاعتقاد.

إن الإعلام الغربي غالباً ما حاول تشويه سمعة الإسلام ويعطي صورة مضخمة ومتحاملة على الإسلام ومثل هذه الدعاية قد تؤثر على قطاعات واسعة من الأوروبيين ولكن بعضهم قد يلتقي بالكتاب الإسلاميين أو مسلمين يوضحون له الحقائق ويزودونه بمعلومات وافية عن الإسلام ويردون على الشبهات والافتراءات التي تطلق على الإسلام والمسلمين فترتسم في أذهانهم صورة جديدة تكون هي القدم الأولى في مسيرة الهداية. إن أغلبية الغربيين الذين يعتقدون الإسلام لديهم قسط وافر من التعليم العالي. والإنسان المتعلم يميل عادة للتفكير المنطقي وينظر للأمور بشكل عقلائي. ولا عجب أن يكون في قائمة المعتنقين للإسلام من المفكرين والأدباء والفنانين أمثال الرسام السويدي إيفان اكلي، والصحفي النمساوي اليهودي ليوبولد فايس الذي سمى نفسه بعد إسلامه محمد أسد وكذلك الفيلسوف والسياسي الفرنسي روجيه غارودي وغيرهم.

هولندا واندماج المسلمين

عقد في عام ١٩٩١ مؤتمر حول إمكانية اندماج المسلمين في هولندا وذلك بجامعة إيراسمس - بروتردام. وشارك في المؤتمر العديد من الشخصيات والهيئات الهولندية والمنظمات والجمعيات والمؤسسات الرسمية والعلمية والدينية والتربوية واليسارية بالإضافة إلى علماء الاستشراق والاستغراب. وكان أغلب المنظمات الإسلامية حضوراً منظمات سورينامية واندونيسية وهولندية مع حضور شبه منعدم للمنظمات الإسلامية المغربية والتركية التي لم تقبل الدعوة التي وجهت إليها وهو دليل على الرفض الضمني إن لم يكن الشامل لموضوع الاندماج. وانتهى المؤتمر الذي بحث ماهية الاندماج وماهية المندمجين إلا أن الحكومة قامت باستطلاع للرأي حول بقاء الأجانب.. فكانت نتيجة الاستطلاع هي إن ٥٠% من الهولنديين يرون أنه من الأفضل عودة الأجانب إلى مواطنهم الأصلية. علماً إن النسبة كانت قبل خمس سنوات ٢٨% وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على تنامي التيار العنصري الفاشي المناهض والمعادي للوجود الإسلامي داخل هولندا خاصة وخارجها بصورة عامة. وكانت هناك تصريحات عنصرية خطيرة فقد كتب بروفيسور هولندي في صحيفة زنداق وتعني بالهولندية (يوم الأحد) تحذيراً مفاده (أيها الهولنديون إن المسلمين يتنامى نفوذهم في بلادنا وأصبح شبابنا يميلون إلى الإسلام فأوقفوا هذا الموج العارم).

وقد شهدت السنوات الخمس الأخيرة ازدياد حملات الهجرة من البلدان الإسلامية إلى هولندا، كما تشكلت عدة جمعيات وهيئات إسلامية لرعاية شؤون المسلمين هناك، بالإضافة إلى وصول عدد من المبلغين إليها، كما

وتوجد عدة حسينيات في العاصمة الهولندية وفي مدن أخرى.

المصادر

- ١ - العالم. العدد ٣٧٠. آذار ١٩٩١.
- ٢ - العالم. العدد ٤٠١. تشرين الأول / ١٩٩١.

شخصية العدد

الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي رحمة الله تعالى عليه

بين اليوم والأمس خطوات ولكنها اكبر من أن تقاس، فالكبار لا يقيمهم زمانهم فحسب، بل تبقى بصماتهم أثراً شاهداً ومنازلت لأجيال تشع بنور القدسية والبهاء الذي استوحوه من نور الإمامة، من نور الإمام الحسين (عليه السلام).

اعتدنا أن نقدم لزوارنا الأعزاء في باب (شخصية العدد) إحدى الشخصيات المنبرية المعاصرة لنواكب المسيرة الخطابية عبر تاريخها الطويل، واليوم آثرنا أن نتوقف قليلاً عند بداية المنبر الحسيني في العصر الحديث، وعند رمزه الأول، الذي ما أن يذكر اسمه حتى يذكر الإمام الحسين (عليه السلام)، وما أن تذكر تلك المصيبة حتى يذكر هذا الشيخ الجليل.

إنه تاريخ الدمة والثورة والأدب والقُدوة الحسنة لخطبائنا في هذا العصر، إنه الخطيب الشهيد الشيخ عبد الزهراء الكعبي الكربلائي.

اسم على مسمى

بذكرى مولد الصديقة الزهراء (عليها السلام) في الخامس عشر من شهر جمادي الأولى في عام ١٣٢٧ هـ ولد الشيخ عبد الزهرة الكعبي في كربلاء المقدسة، وبذكرى وفاتها في الخامس عشر من شهر جمادي الأولى أيضاً عام ١٣٩٤ هـ الموافق ٦/٦/ ١٩٧٣ وفد على ربه آمناً مطمئناً، وبين الولادة والوفاة مسيرة أمدتها سبعة وستين عاماً حافلة بالعطاء والعظمة وكأن الإرادة الإلهية شاعت أن تنطلق هذه المسيرة المظفرة مع الزهراء وولائها حتى أصبح عبد الزهراء اسماً على مسمى وكان فيه قول القائل:

يا قوم قلبي عند زهراء	يقصده السامع والرائي
لا تدعني إلا بيا عبداً	فإنه أشرف اسماني

نسبته وأسرته

هو أبو علي الشيخ عبد الزهراء بن الشيخ فلاح بن الشيخ عباس بن الشيخ وادي الكعبي ينتسب إلى قبيلة بني كعب المنتهية إلى كعب بن لؤي بن وائل، وقد نزحت أسرته من المشخاب واستوطنت كربلاء.

دراسته وخطابته

تعلم مبادئ القراءة والكتابة بالطرق التقليدية عند الكتاب وحفظ القرآن كله في سن مبكرة عند الشيخ محمد السراج في الصحن الحسيني الشريف، ثم تلقى علومه الدينية في حوزة كربلاء على أفاضل الأساتذة وطلّاع

العلماء، فقد أخذ أوليات العلوم على العلامة الشيخ علي الرمّاحي، ثم درس الفقه وأصوله على يد العلامة الشيخ محمد الخطيب، وتتلّمذ في المنطق على الشيخ جعفر الرشتي، وفي علم العروض على الشيخ عبد الحسين الحويّزي، ثم أصبح هو من أساتذة الحوزة النابهيّين يلقي دروسه في الفقه الإسلامي واللغة العربية على مجموعة من طلبة العلوم الدينية.

أما خطابته فقد تلقاها عن خطيب كربلاء الشهير الشيخ محسن أبو الحب، والخطيب المؤلف الشيخ محمد مهدي المازندراني ومارس عمله باتقان وإخلاص حتى أصبح من أبرز الخطباء العراقيين ومن أساتذة المنبر المبرّزين، وقد تخرج عليه جيل من خطباء المنبر الحسيني كان في طليعتهم الخطيب الشهير الشيخ عبد الحميد المهاجر والشيخ ضياء الزبيدي والشيخ علي حيدر والشيخ أحمد معرفة وغيرهم من الجيل المعاصر وذكر أحد تلامذته أن أكثر من خمسين خطيباً تأثروا بأسلوبه وطريقته في الخطابة، وكان يحرص على إعداد جيل من الخطباء متسلّح بثقافة دينية صحيحة وكان ينفق جل وقته في توجيه وتربية الخطباء الناشئين ويغدق عليهم بسخاء من مكارم أخلاقه وما يحتاجونه من خبرة منبرية واسعة.

كان شيخنا المترجم له خطيباً مربياً مخلصاً في خدمته لسيد الشهداء، ثنيت له وسادة المنبر الحسيني في كربلاء، ثم دعي خطيباً لإحياء المواسم الحسينية في كل من الكويت والبحرين والإحساء والقطيف ولبنان وغيرها، وذاع صيته الأرجاء بقراءة المقتل الحسيني الشهير.

الكعبي والأدبي العربي

يتبادر إلى الذهن عندما يذكر الشيخ الكعبي (مقتل الحسين)، وخطابة المنبر إلا أن للشيخ الخطيب باع طويل في الأدب العربي بقسميه الفصيح والدارج، فقد ذكر المرجاني في كتابه خطباء المنبر أن له ديوان شعر تحت عنوان: (دموع الأسى) لا يزال مخطوطاً في مكتبته بكربلاء، ولا يعلم إذا اعتراه التلف أو الضياع في ظل الظروف الراهنة، ومن نماذج شعره قال مؤرخاً مسجداً في كربلاء:

أكارم أهل علا وسودد	ذا مسجد قد جددت بناءه
من قد سما بالعز هام الفرقد	سعى به عبد الأمير ذو العلى
ترجو بذاك الفوز يوم الموعد	وشاظرته في البناء عصبه
وبعده صلي على محمد	يا داخلاً فيه اذكر الله هدى
شادوا على التقوى أساس المسجد	واستغفر الله وأرخ قانلاً

ويقول في مدح الإمام الصادق (عليه السلام):

سابقات تعم كل البرية	لأبي الكاظم الإمام أياد
بعد إخفائها فعادت بهية	أظهر الله فيه شرعة طه
هي كانت من قبل ذاك خفية	رويت عنه للأنام علوم
قد عرفنا بالفرقة الجعفرية	فحفظنا تلك العلوم ومن ذا

ويقول في قصيدة في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام):

خليفة طه في البرية حيدر	وليس سواه في الأنام أمير
-------------------------	--------------------------

إذا امتار أهل الأرض كيلاً فإني
سوى حبه تالله لست أمير
وقد نشرت له مجموعة من المقالات في مجلة صوت المبلغين الكربالية، وله مكتبة ضخمة تربو على
العشرة آلاف كتاب، وليس له تأليف مطبوع سوى المقتل.

المحطة الأخيرة

في ليلة الجمعة بكربلاء سكت صوت الكعبي فجأة، ذلك الصوت الذي كان للتو يجلجل ناعياً أم الأئمة بمجلس
عزائها، وتعطلت تلك الحنجرة الخارقة التي تصدح بحزن في مصاب سيد الشهداء (عليه السلام) لنصف قرن
من الزمن، وتوقف ذلك القلب الطيب العطوف، واطفأت تلك الروح المتوثبة، وخمدت تلك الشعلة الحسينية
المتوهجة.

لقد هجمت عليه المنية، وباغته ريب المنون، بعد أن حضر مجلس الفاتحة لأحد معارفه، وارتقى المنبر يؤبن
الزهراء (عليها السلام) بذكرى وفاتها، وبعد فراغه أحس بدوار واضطراب نفسي شديد نقل على أثره إلى
المستشفى الحسيني، وبعد إسعافه عادوا به إلى داره في حي الحسين، وهناك صعدت روحه إلى بارئها، ولفظ
نفسه الأخير، والتحق بركب الحسين (عليه السلام) مع الشهداء والصديقين.

وفي صبيحة الحدث الجلل والخسارة الفادحة هبت كربلاء عن بكرة أبيها، وزحفت الجماهير من كل حذب
وصوب لتشييع خطيبها المعظم، فحملت نعشه على الرؤوس ورفعت جنازته على الأكف، وكان يوماً مشهوداً
ضجت به الناس ضجة واحدة، وحنّت حنة ثائلة تشيعه الدموع الساخنة، والزفرات اللاهبة، وأصوات تسجيلاته
تخترق الأفق ناعياً وحزناً حتى أنزلوه في مثواه الأخير في مقبرة كربلاء فإلى روح وريحان وجنة نعيم، وسلام
عليكم أبا علي وعلى روحك الطيب وجسدك الطاهر، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفزتم والله فوزاً
عظيماً.

المصادر

- (١) خطباء المنبر الحسيني ج ٢ ص ١٨٨.
- (٢) معجم الخطباء، الجزء الأول. داخل السيد حسن.

قراءة في كتاب

السياسة من واقع الإسلام

السياسة الإسلامية.. منهج رباني متكامل لإنقاذ البشرية..

حيدر الجراح

يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون).

في هذه الحوارية تحددت مهمة الإنسان في الأرض، وهي بناؤها وإعمارها لما فيه خيره وخير بني جنسه، وللقيام بالمسؤولية التي تترتب على هذا الجعل الإلهي.

ولم تكن تلك المسؤولية خلواً من الحرية التي أعطاها الله للإنسان وجعلها في فطرته.. فكانت (قل هو الله أحد) هي المفتاح لهذه الحرية، التي لا تكون كاملة إلا بإقرار العبودية المطلقة لله الواحد الأحد خالق الإنسان والكون..

من هنا تزامنت حرية الإنسان والمسؤولية عن خلفته في الأرض فالمسؤولية هي إقرار المرء بما يصدر عنه من أفعال وباستعداده لتحمل نتائج تلك الأفعال.

وتلك الأفعال الصادرة عنه قد يتسع مجالها فيشمل كل الذين هو مسؤول عنهم، ويشمل قطعاً كل من يأترون بأمره، وكل من يستمدون السلطة منه مباشرة.. ولهذا تمتد مسؤولية الرئيس فتشمل المرووسين في كل الأعمال التي يصدر الأمر بها منه مباشرة أو بالواسطة، فالقائد مسؤول عن الأفعال الصادرة عن الضباط والجنود إن كانت قد صدرت منهم بأمر منه أو بما يترتب على أوامر منه. ورئيس الحكومة مسؤول عن أعمال وزرائه الصادرة عنهم بتوجيه منه مباشر أو غير مباشر، ما داموا مسؤولين أمامه والوالد مسؤول عن أولاده إن كانوا دون البلوغ، أو كانت أفعالهم بتحريض أو توجيه أو حتى تأثير معنوي منه فيهم.. ونقول عن هؤلاء أنهم مسؤولون، دون أن نحدد درجة المسؤولية، إذ للمسؤولية درجات وسلّم طويل..

والإقرار بالمسؤولية عن الأفعال لا يكفي وحده، بل لا بد من تحمل نتائج هذه الأفعال. وهذه النتائج إما معنوية (الاحترام أو الاحتقار) أو قانونية (الثواب والعقاب) أو اقتصادية (التعويض المالي عن الضرر اللاحق بالضحية) أو دينية (النعيم أو الجحيم في الآخرة) أو أخلاقية (المدح أو الذم) إلخ.. وتنقسم المسؤولية إلى أنواع:

١ - المسؤولية الأخلاقية: وتتعلق بالأفعال التي يكون المرء فيها مسؤولاً أمام ضميره، وأمام الله.. وتندرج فيها النوايا، أي الأفعال الباطنة..

٢ - المسؤولية المدنية: وتتعلق بالأفعال الظاهرة سواء فيها ما تم، وما هو بسبيل الحدوث.. وتتحدد هذه المسؤولية وفقاً للقوانين الوضعية الإنسانية، لا وفقاً للقانون الأخلاقي، وإن اشتركا في بعض الأمور.. ولهذا فإن كثيراً من الأفعال المحرم ارتكابها بحسب القانون الأخلاقي لا تندرج تحت طائلة المسؤولية القانونية،

- والعكس صحيح أيضاً.. فكثير من الأفعال التي يجرمها القانون، لا شأن لها بالأخلاق..
- ٣ - المسؤولية الاجتماعية: وتتعلق بالمجتمعات التي ننسب إليها إما بالطبع أو بالاختيار. إذ نكون مسؤولين أمام رب الأسرة أو السلطة المكلفة بتوفير الصالح العام.
- وللمسؤولية عدة خصائص منها:
- ١ - إنها ضرورية، لأن الإنسان لا بد أن يفعل من أجل تحقيق إمكانياته وإلا كان عدماً، فمجرد وجوده يقتضي منه الفعل.. وعلى الفعل تترتب المسؤولية..
- ثم إن الإنسان موجود في العالم، وهذا يلزمه بالفعل في العالم وتجاه الآخرين، وتلك مسؤولية وجودية وأخلاقية معاً.. والإنسان مسؤول عن تحقيق إمكانياته، ولا يمكنه أن يبقى دقيقة واحدة دون اختيار، والاختيار يجر إلى المسؤولية.
- ٢ - إنها تقوم على الحرية، فلا مسؤولية حيث لا حرية، وفي عالم خال من الحرية وتسوده الجبرية المطلقة، لا مكان للمسؤولية.
- ٣ - إنها تفترض العقل السليم، فلا مسؤولية على فاقد الإدراك السليم.. فلا بد إذن من معرفة الأفعال التي يقوم بها الإنسان من حيث قيمتها الأخلاقية.
- ٤ - إنها تقوم على المعرفة، معرفة القواعد التي ينبغي السير عليها في السلوك بوجه عام. وتتزايد المسؤولية الأخلاقية بتزايد المعرفة.
- ٥ - ومن شروط قيام المسؤولية أن توجد سلطة تضع القواعد وتقوم الأفعال. فلو كانت قيم كل الأفعال واحدة لما كانت هناك مسؤولية.. وأمام هذه السلطة علينا أن نقدم الحساب عن أفعالنا.
- وفي القانون السلطة معروفة وهي الأجهزة الإدارية والقضائية. أما في الأخلاق هي الإرادة الإلهية، أي الله الذي سيحاسبنا على أفعالنا.. بعد معرفة تلك الخطوط العريضة المتعلقة بالمسؤولية، نتساءل هل استطاع الإنسان، خليفة الله في الأرض، أن يكون بمستوى تلك المسؤولية وما يترتب عليها؟
- هذا ما نحاول الوقوف عليه في الصفحات التالية..

في معنى السياسة

بعد نشوء المجتمعات البشرية، وتشعبها، احتاج الإنسان إلى وضع قوانين وقواعد تسهل عليه التعامل مع محيطه، ومع الآخرين.

من ذلك تنظيم أراضي الصيد والزراعة، واستغلال موارد الأرض، وفرض النزاعات التي تنشأ من تفاعل التجمعات البشرية فيما بينها.. ووضع الأحكام والضوابط التي تنظم حركة هذا التفاعل البشري..

من هنا نشأت الحكومات التي أخذت على عاتقها سن القوانين وتطبيقها داخل المجتمعات.

ولم تسطع البشرية، ورغم مشوارها الطويل، أن تهتدي إلى طريقة تستطيع معها القضاء على الظلم أو التجبر أو تحجيم القوي لمصلحة الضعيف، أو إعطاء كل ذي حق حقه.

وحتى الديانات السماوية السابقة على الإسلام لم تستطع أن تفعل شيئاً حيال هذا الصراع المستمر بين الإنسان وخليفته، إما لابتعاد هذا الإنسان عن تلك التعاليم، أو لأن هذه التعاليم قد حرّفت لما فيه مصلحة البعض

على حساب البعض الآخر.

أما الإسلام، فيمكن تلمّس ما وصلت إليه سياسته في الحكم إلى القمة من الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان من خلال تجربتين فريدتين في التطبيق العملي لهذه السياسة وهما حكومة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في المدينة، وحكومة الإمام علي (عليه السلام) في الكوفة.

السياسة من واقع الإسلام، لمؤلفه سماحة السيد صادق الشيرازي يبحث في الأطر العريقة للسياسة الإسلامية التي تجدها في آيات القرآن الكريم، وفي سنة رسول الرحمة والإنسانية (صلى الله عليه وآله) وفي سنة وصيه الإمام علي (عليه السلام).

بدءاً لنحدث عن معنى السياسة بشكل عام، ثم نتطرق إلى المفهوم الوحشي للسياسة، والمفهوم المدني لها. تقع السياسة ضمن مجال الفعاليات الاجتماعية المختلفة الخاصة بالنظام الاجتماعي للجماعات الإنسانية. إنها فعالية بسبب كونها تمثل شكلاً من أشكال التعبير عن الوجود وعن الإرادة بالنسبة إلى الفرد والجماعة على السواء.. ويكون هدف السياسة والممارسة السياسية هو تحقيق المصلحة، أكانت فردية أو جماعية، وتنميتها والدفاع عنها، تتداخل فيها اللحظات الثلاث (التحقيق، التنمية، الدفاع) تداخلاً عضوياً قد يستعصي معه الفرز بينهما.

تحقيق المصلحة - وهو هدف السياسة - يحتاج إلى قوة مادية ورمزية يجري بهما توسل الهدف، وليست تلك القوة إلا الأدوات والأفكار.

هل تتوسل السياسة، لتحقيق أهدافها، بوسائل سلمية أم عنفية؟ وما نصاب الشرعية فيها، أي هل إن تلازمها مع الوسائل السلمية يمنحها الشرعية وتلازمها مع أساليب العنف ينزع عنها تلك الشرعية، أم أن خارطة العلاقة أكثر تنوعاً من حدي المعادلة؟

يتعلق الأمر هنا في مفهومين للسياسة على طرفي نقيض: مفهوم وحشي للسياسة، وفي مفهوم مدني لها. ١ - في المفهوم الوحشي للسياسة:

هذا المفهوم قوامه النظر إلى ميدان السياسة بوصفه مجالاً عمومياً للمجتمع لا ملكية خاصة لفريق دون سواه.

في المفهوم المدني للسياسة، تكون السياسة تمثيلاً لمصالح نسبية لا لمصالح مطلقة فرعونية، لأنها تتحول إلى طريقة لترجمة التنوع الطبيعي الحاصل في ميدان الاجتماع الوطني، سواء على مستوى تركيبه المختلف، أو على مستوى تباين المصالح فيه.

وبعد.. ما هي نظرة الإسلام إلى السياسة؟

يقول سماحة المؤلف: إن السياسة التي تفسّر بـ(تنظيم أمور دنيا الناس على أحسن وأرفه وجه) الذي هو مضمون قوله تعالى في وصف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم).

السياسة بهذا التفسير هي من صميم الإسلام، ومن أسس الدين، التي يجب على كل فرد من المسلمين العمل لتطبيقها على العالم كله، والجهاد بمختلف الوسائل والسبل من أجل تثبيتها تحقيقاً لقوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين).

ونظرة باحثة تنقيبية على التاريخ الإسلامي المشرق الطويل عبر القرون المتمادية - خصوصاً تاريخ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتاريخ وصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) تعطينا فكرة واضحة عن مكان السياسة الصحيحة في الإسلام.

ومطالعة للقرآن الكريم وكتب التفسير والحديث توقفنا على الرصيد الفكري السياسي الضخم الذي تركه الإسلام للمسلمين وللعالم أجمع.

وفي الشريعة الإسلامية نصوص كثيرة، وكثيرة جداً تدل على أن السياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام، بل الأصح في التعبير أن نقول: الإسلام والسياسة لفظان لمفهوم واحد، فالسياسة هي الإسلام، والإسلام هو السياسة بمعناها الصحيح العام.

تباين السياستين

غير أن السياسة الإسلامية تباين السياسة العالمية اليوم، في أصولها وفروعها، فالسياسة الإسلامية هي غير السياسة المعاصرة التي تمارسها معظم الدول تماماً.. ذلك لأن الإسلام يسير في سياسته مزيجاً من الإدارة والعدل، والحب الشامل، وحفظ كرامة الإنسان، وتقييم دم الإنسان.. فهو يحاول أن لا تراق قطرة دم دون حق، أو تهان كرامة شخص واحد جوراً، أو يظلم إنسان واحد.. بل وحتى حيوان واحد.

أما السياسة - بمفهومها المعاصر - فهي القدرة على إدارة دفة الحكم وتسيير الناس والأخذ بالزمم مهما كلفت هذه الأمور من إهدار كرامات، وإراقة دماء، وكبت حريات، وابتزاز أموال، وظلم وإجحاف ونحو ذلك.. فما دام الحكم له والسلطة خاضعة لأمره ونهيه فهي الغاية المطلوبة، وإنها تبرر الوسطة، وإن كانت الوسطة إراقة دماء الألوف والملايين جوراً وظلماً.. هذا منطق السياسة في أغلب بلاد العالم اليوم.

قسم المؤلف كتابه إلى ستة عشر مبحثاً، حاول من خلالها أن يحيط بالسياسة الإسلامية في كافة مجالات الحياة.

في مبحث سياسة الإسلام في المجال الاقتصادي يقول سماحة المؤلف:

إن الاقتصاد له الأهمية الكبرى في السياسة، وكلما كان التوازن الاقتصادي أقوى كانت السياسة أكثر سداداً ورشداً.

فالسياسة الإسلامية في مجال الاقتصاد قد حاربت الفقر حرباً لا هوادة فيها، وقصة السائل النصراني مع الإمام علي (عليه السلام) حين جعل له من بيت مال المسلمين مرتباً يرتزق منه مع أنه نصراني لا يدين بالإسلام، لكيلا يكون في البلد الإسلامي مظهر واحد للفقر والجوع.

ولكي يعرف العالم، والمسلمون أنفسهم أن الحكومة الإسلامية تقضي على الفقر وتدفع مستوى الفقراء لا بالنسبة للمسلمين فحسب، بل تنفي الفقر حتى عن الكفار ما داموا تحت رعاية الدولة الإسلامية.

في المجال الصحي وضع الإسلام خطاً حكماً لاقتلاع جذور المرض عن أطراف الدولة الإسلامية كلها وعن عامة المسلمين.

فإننا نجد في قائمة الأحاديث الشريفة المأثورة عن رسول الإسلام وعن أهل بيته الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) الألوف والألوف منها مخصصة لبيان الأمور الصحية.

ولأجل ذلك قلماً يجد الإنسان - في ظل الحكم الإسلامي - مرضى كثيرين وأمراضاً متفشية.
وكانت الصحة العامة مرفرفة بأجنحتها العريضة على الدولة الإسلامية وكان ذلك مستمراً إلى عهد سقوط الدولة الإسلامية.

ولتضع هنا مثلاً يكون نموذجاً واحداً لما قلناه عن سياسة الصحة في الإسلام: فلقد كان المسلمون غالباً حسب أوامر الشريعة الإسلامية المتكررة والمؤكدّة يعهدون إلى تقليل كمية الدم من كل فرد في كل عام على الأقل مرة واحدة وخصوصاً في أيام الربيع تبعاً لتهيج كل ما في الكون من إنسان وحيوان ونبات وأجهزة وطافات وغيرها، وذلك بعملية (الحجامة) أو عملية (الفصد).

وقد ورد في الأحاديث الشريفة: أن تقليل الدم أمان من موت الفجأة، وهي السكتة القلبية، والشلل المؤدي إلى ذلك.

ومما ورد في ذلك حديث شريف للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) حيث قال: (إنما مثل الدم مثل العبد وربما قتل العبد سيده).

في مجال الثقافة لا تكاد ترى أمة أو فكرة أو مبدأ أو نظاماً فتح أبواب العلوم والثقافة كما فتحها الإسلام، أو ندب إليها كما ندب الإسلام إلى العلم. فكم ندب الإسلام إلى العلم، وكم قدر من العلماء ورفع من شأنهم. ولمجرد النماذج نذكر بعض الأحاديث لنعرف البعد العميق في تحريض الإسلام على الثقافة والعلم. اطلبوا العلم ولو بالصين.

اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.

العلماء ورثة الأنبياء.

الناس أموات وأهل العلم أحياء.

ويضرب الإسلام شوطاً أبعد في ميدان الثقافة، فيصدر حكمه الأكيد والوجوب المحتوم على كافة الصناعات، والمخترعات، والحرف، وجوباً كفائياً.

ومعنى الوجوب الكفائي هو: أن المسلمين لو تركوا جميعاً صنعة أو حرفة فتعطلت عندهم أجهزة الحياة - ولو نسبياً - اشترك الجميع في الإثم والعصيان والمسؤولية أمام الله تعالى.

في مجال الحريات فإن التاريخ الطويل للعالم لم يرَ لغير الإسلام في فتح الحريات نظيراً ولا مثيلاً، وحتى هذا اليوم الذي يحب الغربيون أن يسموه بعصر الحرية.

فالإسلام يعطي لكل فرد من المسلمين، بل وحتى لغير المسلمين من سائر البشر كامل الحرية في جميع المجالات المشروعة، ما دام لا يضر بحرية غيره.

وأول ما يبدأ الإسلام بتحرير الناس منه الفكر واختيار الدين، إذ أن الإسلام لا يجبر على دين معين أبداً ولو كانوا في بلاد الإسلام وتحت رعايته وحمايته.

والإسلام يعطي لكل فرد من المسلمين حرية الكسب والتجارة، حرية العمل والصناعة، حرية السفر والإقامة، حرية الخطابة والكتابة، الحرية في جميع الأمور.

في مكافحة الجرائم استعمل الإسلام أسلوباً لم تحلم به الدول كلها حتى الآن فهو يجعل - بقوانينه الراشدة - من الناس أمة طاهرة لا تأتي بجناية.

ولو نظرت إلى الدولة الإسلامية الكبيرة، منذ البعثة النبوية العظمى حتى قرنين من بدايتها، التي كانت شاسعة جداً، لرأيت التاريخ يسجل سرقات قليلة في هذه الدولة الواسعة، بينما ترى أميركا اليوم تستنجد العالم في كيفية مكافحة هذا الخطر المحدق لخلاصها من ستة ملايين لص، في ظرف خمسة وعشرين عاماً، فما النسبة؟ مانتان من السنوات، دولة كبيرة جداً، وسرقات قليلة جداً.

والضمان الاجتماعي في الإسلام صباية الإنسانية في قمتها، ولذا فإن الإسلام حين ينطلق من زاوية الإنسانية، يصب هذا الضمان بما يوافق الإنسانية في أعماق أبعادها الفضيلة، وبالتأكيد لم ير التاريخ قبل الإسلام، ولم تسجل الحضارات بعد الإسلام، حتى اليوم ضماناً اجتماعياً، بعمق الضمان الاجتماعي في الإسلام. إنه يقول: إن كل من يموت وعليه ديون، فعلى إمام المسلمين أداء ديونه، وكل من يموت وله مال، فالمال كله لورثته، ليس لإمام المسلمين منه شيء.

وفي نصوص الشريعة الإسلامية، زخم كبير من ذلك، وهو إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى اهتمام الإسلام بالتأكيد على هذا الجانب الاجتماعي العظيم، حيث تكرر نقل ذلك عن نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) وأئمة العترة الطاهرة (عليهم السلام).

في مجال العلاقات الدولية، فقد وضع الإسلام قانوناً لشد الروابط الدبلوماسية، فجوز الصداقة مع الدول الكافرة التي لم تؤذ المسلمين ونهى عنها مع الكفار الذين يؤذون المسلمين.

فالدول الكافرة التي أخرجت المسلمين من ديارهم، مثل إسرائيل، لا يجوز للمسلمين إيجاد العلاقات معها، وأما الدول الكافرة المحايدة، فلا بأس للمسلمين في أن يشيدوا معهم روابط، ويكوّنوا صداقات معهم، ويبرروا ويحسنوا إليهم.

أما بالنسبة لسياسة الإسلام في السلم والحرب، فإن الإسلام هو الدين الذي يدعو إلى السلام صدقاً، ولم يكن الإسلام - يوماً ما - مثل هذه الدول الكاذبة التي تدعو إلى السلام وتجعل السلام شعارها، ثم إذا جاءت الحرب أفنت قنابلها عشرات الملايين، وتفتخر بأن في استطاعتها إبادة العالم في دقائق معدودة.

من سياسة الإسلام الإنسانية في الحروب، إنه لم يبدأ بحرب قط.. فالحروب والغزوات التي قامت في حياة الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) كلها كانت دفاعية، فلم يكن الإسلام يوماً ما يذهب إلى الكفار ليشتن عليهم الحرب جزافاً واعتباطاً، كما أنه لم يبدأ بحرب إلا بعد الصبح.

ولم يكن التدخل في الأمور السياسية وتعديل الأمة وتقويمها واجب العلماء وحسب، بل هو واجب الجميع، والجميع مسؤولون عنه غداً يوم القيامة.

فكل زيغ أو انحراف يحدث في الأمة الإسلامية، يجب على جميع المسلمين مكافحته وإصلاحه.

وبعد..

فقد تطرق سماحة المؤلف في هذا الكتاب إلى الحكومة الإسلامية الأولى التي أقامها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة المنورة وسهر على رعايتها طيلة عشر سنوات من عمره الشريف، وكانت بحق مثلاً يُحتذى وقدوة صالحة في كل زمن ومكان للحكومات الرشيدة التي ينشدها الإنسان لإقامة مجتمع العدل والفضيلة.

ومثلها أقام وصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) حكومته الرشيدة الأخرى على غرار تلك الحكومة المحمدية،

والتي سارت على خطاها مسترشدة بهدي نبي الرحمة وسنته، وكان دستورها القرآن الكريم وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وبعدما ابتعد المسلمون عن نهج رسولهم وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) وتكاسلوا عن العمل، وفقدوا المسؤولية، وقعد كلٌّ في داره، صبت عليهم، ووقعوا فرانس صهيون والغرب والشرق وغيرهم. ولكن المسلمون اليوم بدأوا اليقظة، ومعرفة ما يدور حولهم، فيرجى لمستقبلهم الخير الوافر، والعزة الشاملة بإذن الله تعالى.

فأساس التقدم والخير والعزة، هو الوعي الصحيح والإيمان الصادق، وقد ورد في الحديث الشريف: (العالم بزمانه لا تهجم عليه النواب).

جولة الكلمة

لجنة الرضوان الشبابية - الكويت

مقدمة

معهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) للدراسات والأبحاث مؤسسة خيرية تعنى بالإنسان المسلم في جميع الميادين، فهو بذرة للخير تأسست على يد مجموعة من أهل الفضل والإيمان نذرت نفسها لرعاية شؤون المسلمين في أماكن تواجدها وانطلاقاً من أهمية العمل الجماعي والمؤسساتي، وضرورة احتضان الشباب وبناء الإنسان الرسالي، انبثقت لجنة الرضوان الشبابية التي تعتبر اليوم ونتيجة الاهتمام بهذه الفئة دعامة من دعائم المجتمع الإسلامي ونموذجاً متكاملأ لرعاية الشباب وصيانتهم من الانحراف.

مقرها

تعتبر لجنة الرضوان الشبابية الجناح الشبابي لمعهد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) للدراسات والأبحاث - الكويت، لذا فهي تتبعه إدارياً، ومقرها في مبنى المعهد في مكتبة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) العامة.

الأهداف

جملة من الأهداف كانت وراء تأسيس هذه اللجنة الخيرية:

١. بناء الإنسان الرسالي الملتزم بتعاليم دينه والمهتدي بمنهج أهل البيت (عليهم السلام)، والسباق لفعل الخير بما يخدم دينه وأمته ووطنه.
٢. ملأ أوقات الشباب بما ينفع أهلهم ومجتمعهم وبما يرضي الله عز وجل.
٣. تنمية مواهب الشباب وصقل طاقاتهم، وتوجيهها رسالياً وحضارياً.
٤. تنشئة الشباب على العمل الجماعي والمؤسساتي.

الهيكل العام للجنة

يتكون الهيكل العام للجنة من ثلاثة مجالس هي مجلس الإدارة ومجلس التخطيط ومجلس الأعيان، وثلاثة لجان كل لجنة لها مهامها الخاصة الموكولة إليها. وفيما يلي عرض موجز لبيان هيكلية اللجنة وعمل مؤسساتها.

أولاً: مجلس الإدارة.

وهو مجلس تأسيسي يقوم بإدارة أعمال وأنشطة اللجنة وهو المشرف العام على اللجان كلها، ومسؤول عن

وضع الخطط والبرامج وإقرارها بالتشاور مع اللجان الفرعية والعامة. ويتم انتخاب رئيس مجلس الإدارة ونائبه وأمين السر عن طريق الاقتراع ومن يفوز بأكثر الأصوات يكون هو الرئيس. أما أعضاء مجلس الإدارة فعددهم ١٨ عضواً.

ثانياً: اللجان الدائمة وتتفرع إلى:

١. اللجنة الثقافية والإعلامية.
٢. اللجنة الرياضية والترفيهية.
٣. اللجنة الروحية ولجنة المواهب والقدرات.
٤. اللجنة المالية.

ثالثاً: لجان الأنشطة الموسمية وتتفرع إلى:

١. المدارس الصيفية.
٢. مخيم الرضوان الربيعي.
٣. محافل القرآن الكريم.
٤. الرحلات والسفريات الخارجية.

رابعاً: لجان المناطق وتتفرع إلى:

١. لجنة الدسمة.
٢. لجنة الرميثية والقرين.

بالإضافة إلى لجان مقترحة أخرى يتم إقرارها في مجلس الإدارة بأغلبية الأصوات.

خامساً: مجلس الأعيان:

وهو مجلس استشاري يضم عدداً من الشخصيات الاعتبارية وأشخاص متخصصون، ويتم تشكيله للفترة القادمة باقتراح أسمائه من قبل رئيس مجلس الإدارة ويتم إقرار الأسماء بأغلبية الآراء.

سادساً: مجلس التخطيط:

وهو مجلس استشاري يقوم باقتراح الخطط والاستراتيجيات وتقديمها لمجلس الإدارة ليتم إقرارها والعمل بها، ويتم تشكيل هذا المجلس باقتراح الأسماء من قبل رئيس مجلس الإدارة.

ومن اللافت للنظر أن اتخاذ كافة القرارات يتم بالشورى ورأي الأغلبية عملاً بنظرية الإمام الشيرازي (دام ظله) التي تضمن سلامة العمل الجماعي من التسلط والاحراف.

إن أهداف اللجنة وهيكلتها ونظامها وخدماتها للصالح العام كفيل بجعلها نموذج يحتذى به على طريق الخير والإصلاح، وبإدارة أمل وخير لمجتمعاتنا الإسلامية التي هي بأمرس الحاجة لمثل هذه المؤسسات لصيانة الشباب من خطر الغزو الثقافي العالمي، والله الموفق.

أنشطة اللجنة الموسمية

من فروع لجان الأنشطة الموسمية مخيم الرضوان ويضم أربعة مخيمات:

١، ٢ - مخيم الشبيبة والشباب: وهما مخيمان منفصلان في المرافق والملاعب والبرامج إضافة إلى برامج

التربية والأجواء الإيمانية والمسابقات الثقافية والرياضية ويشرف عليه كادر من المشايخ والمربين.

٣ - مخيم الرجال: يشتمل مخيم الرجال على برنامج متكامل تحت إشراف كادر متخصص ويتضمن محاضرات وندوات، مسابقات ثقافية، ألعاب شعبية، مسابقات رياضية، ديوانية ليلية، إذاعة داخلية، ويحتوي على بقالية ومقهى شعبي.

٤ - مخيم النساء: وهو مخيم منفصل ومستور يشتمل على برامج ثقافية ومسابقات وألعاب الأطفال، ومحاضرات دينية.

وقد وضعت اللجنة المشرفة على هذا المخيم بعض الشروط حفاظاً على السلامة وكذلك اشتراكاً رمزياً للمساهمة في توفير وسائل الراحة ومستلزمات نجاح المخيم، كما أن هذه المخيمات تقام بصورة موسمية ولفترة محددة يتم الإعلان عنها قبل موعدها بأيام ليتسنى للجميع المشاركة فيها والاستفادة منها.

استراحة العدد

قالوا في الجمال

سئل الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) فيم الجمال؟ فقال (صلى الله عليه وآله): في اللسان (يعني البيان).

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمالُ العلم والأدب

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وما الحسن إلا في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلانق

المنتبي

الجمال برهانه فيه أما طيب النفس فيحتاج إلى برهان

كيتس

نفس جميلة في جسد جميل هو المثل الأعلى للجمال

تولستوي

تعلم من هؤلاء

تعلم من الفيل أصول الكسب

ومن الجبل الثبات

ومن الجمل الصبر والقناعة

ومن الديك النهوض مبكراً

ومن الزهر البشاشة

ومن الأسد الشجاعة

ومن النمل الاقتصاد

ومن المرأة الشفقة

ومن الغصن اللين

عجائب الدنيا

هل تعرف أن عجائب الدنيا السبع هي:

١ - أهرامات الجيزة بالقاهرة: هي العجبة الوحيدة الباقية من العجائب السبع وأهمها الهرم الأكبر أو هرم (خوفو). ويرجع تاريخ بناء هذه الأهرامات إلى الفترة ما بين ٤٧٥٠ - ٣٠٠٠ ق.م، وما زالت المهارة والنظام الهندسي العجيب فيها تثير إعجاب العالم.

وتقع هذه الأهرامات في منطقة تدعى الجيزة وتسمى باسمها وهي تبعد بضعة أميال عن القاهرة.

٢ - الجنائن المعلقة في بابل: لم تكن هذه الجنائن معلقة، بل كانت بارزة وعلى شكل مصاطب مرتفعة وكانت

النباتات فيها تسقى بواسطة مضخات لولبية مركبة على نهر الفرات وكانت هذه الآلات نفسها أعجوبة.

أمر ببنائها نبوخذ نصر عام ٥٠٠ ق.م تكريماً لزوجته اغتيسس.

٣ - تمثال زيوس في أولمبيا: صنعه المثل فيدياس الذي يعتبر أشهر النحاتين والمثالين الإغريق وذلك في عهد بركليس الذهبي، ويقال أنه ظل يعمل فيه ٩ سنوات ولا يوجد من بقايا شيء الآن إلا صورته.

٤ - معبد اريتميس في أفسوس: أقيم للآلهة اريتميس في مدينة أفسوس الإغريقية قرب مصب نهر كايستر على بحر إيجه جنوبي شرقي أزمير.

احترق فأعيد بناؤه على عهد الإسكندر وعندما جاء الإمبراطور ثيودوسيوس الأول أمر بإغلاق المعابد الوثنية فهدم وتفكك، وقد استخدمت ٨ أعمدة من عواميده في بناء جامع أيا صوفيا في استنبول.

٥ - ضريح هاليكارناس في آسية الصغرى: لما توفي موسول عام ٣٥٣ ق.م حزن عليه زوجته اريتميسيا، وأقامت له ضريحاً في مدينة هاليكارناس تخليداً لذكراه.

يقال أنه توجد في المتحف البريطاني بعض أشيائه.

٦ - تمثال عملاق رودس: تمثال ضخيم من البرونز لإله الشمس هليوس أقيم في رودس من الغنائم التي خلفها ديميتريوس بوليكرتيس بعد أن رفع الحصار عن المدينة.

٧ - منارة الإسكندرية: بدأ إنشاؤها في عهد بطليموس الأول الذي كلف المعمارى سوستراتس اليوناني بإقامتها وقد تم البناء فعلاً في عهد بطليموس فيلادلفوس، فإذا هي برج عظيم يصل ارتفاعه إلى ٥٠٠ م، تهدمت سنة ١٣٤٤ بالكامل.

تنبيه: إن الإنسان بنظرته القاصرة نظر إلى هذه الأشياء على أنها عجائب ولكن العلم الحديث وقبله القرآن الكريم قالوا كلمتهما في أصغر مخلوقات الله تعالى وفي نفس الإنسان (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق).

طرائف

يوم الشؤم

حلف رجل بالطلاق أن لا يدخل على زوجته إلا في يوم مشؤوم. فسأل جماعة من العلماء عن ذلك، فأجابوه بوقوع الطلاق لأن الأيام كلها مباركة. وبقي محتاراً في أمره، فسأل عالماً متواضعاً، فقال له: هل صليت اليوم الصبح؟ قال: لا. قال: فادخل عليها، فإنه يوم مشؤوم عليك.

عيادة مريض

ذهب جماعة ليعودوا مريضاً وأجمعوا على أن يكون غداؤهم عنده، فلما دخلوا وتحدثوا، تلا أحدهم: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع) إلى آخر الآية الكريمة، ففطن المريض وتمطى وتلا قوله تعالى: (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) فقال الرجل: قوموا فما عند صاحبكم خير.

فرخ البط عوام

مات بخيل فظن أهله أنهم استراحوا منه، فقدم ابنه فاستولى على ماله وداره، ثم قال: ما كان إدام أبي؟ فإن أكثر الفساد إنما يكون في الإدام. قالوا: كان يتأدّم بجبنة عنده. قال: أرونيها. فإذا فيها حزّ كالجدول من أثر مسح اللقمة، قال: ما هذه الحفرة؟ قالوا: كان لا يقطع الجبن وإنما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى. قال: بهذا أهلكني، وبهذا أقعدني هذا المقعد، لو علمت ذلك ما صليت عليه. قالوا: فأنت كيف تريد أن تصنع؟ قال: أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة!! فوطنوا أنفسهم على الشر.

هل تعلم

أن أغلبية سكان جزر (الكاريببي) كانوا يتكلمون ثلاث لغات مختلفة. لغة يستخدمها الرجال فيما بينهم، وكذلك النساء إذا وجهن الكلام إلى الرجال. لغة ثانية تختص بالنساء لا غير، فلا يجوز أن يستعملها الرجل إلا إذا أراد أن يهزأ من امرأة، أو أن يلمح إليها. ولغة ثالثة لا تتعلمها النساء بتاتاً، ويتداولها الرجال متى اجتمعوا في مجالس حربية.

وهل تعلم

لماذا يطير مكوك الفضاء في وضع مقلوب؟
الطيران في الوضع المقلوب يوفر الراحة والبرودة للمسافرين.
ومعلوم أن مدى درجات الحرارة في الفضاء متطرف، فهو حار جداً عند التعرض لأشعة الشمس وبارد جداً في ظل الأرض. فالطيران بالوضع المقلوب أي أن تكون مؤخرة المركبة الفضائية بعيدة عن الأرض يساعده التحكم في درجات الحرارة على ظهر المركبة لأن بطن المركبة له بطانة عازلة للحرارة، أيضاً المشعات (الرايوتير) الموجودة في مخزن الأمتعة تشع حرارة من أجهزة المساعدة الحيوية في المركبة. ولهذا تظل أبواب مستودع الأمتعة مفتوحة أثناء دوران المركبة حول الأرض.

أخبار الإنترنت والكمبيوتر

السرقه عبر الإنترنت بدلاً عن السطو على المنازل

ذكرت صحيفة (الغارديان) البريطانية أنه بحلول عام ٢٠٢٠م سيسعى اللصوص الذين يتمتعون بمهارات عالية إلى سرقة بطاقات هوية الأشخاص للحصول على سلع وخدمات بأسمائهم عبر شبكة الإنترنت بدلاً من اقتحام المنازل وسرقة الأجهزة الموجودة فيها.
ونقل راديو لندن عن الصحيفة قولها عن لصوص المستقبل أن وحدة منع الجريمة بوزارة الصناعة البريطانية طالبت الوزراء بوضع استراتيجية لمواجهة الجرائم الإلكترونية.

وأشارت إلى أن هذه الاستراتيجية يجب أن توضع خلال العامين القادمين حتى تستطيع الجهات المعنية ملاحقة المجرمين المتمرسين في هذا المجال الذين ألفوا استخدام التكنولوجيا الحديثة. وخلصت الصحيفة في الختام إلى القول أن جرائم المستقبل سيكون الاعتداء فيها على الممتلكات الفكرية والمعنوية أكثر من المنقولات العادية.

سوار إلكتروني لحبس السجناء في منازلهم

أصبح للمسجون الذي يقضي عقوبة الحبس في السجن لمدة عام فقط في فرنسا حرية الاختيار في أن يبقى في السجن أو يذهب إلى منزله وهو يضع في معصم اليد أو عرقوب القدم أسورة لمراقبته طوال فترة العقوبة. وقد أطلق على هذا الأسلوب الحديث (التنقل تحت المراقبة الإلكترونية).. ويتميز السوار بإرسال علامات يستقبلها مركز المراقبة في حالة محاولة المسجون البعد عن نطاق ٥٠ متراً من منزله وبالتالي تتحرك قوات الأمن على الفور للقبض عليه.

مساجد سنغافورة تبث خطب الجمعة عبر (الإنترنت)

يتدفق آلاف المصلين يوم الجمعة على مساجد سنغافورة حيث يستمعون إلى خطبة تم توزيعها عن طريق الإنترنت خلال الأسبوع. وتعكس هذه الطريقة غير التقليدية استيعاب السلطات الإسلامية بهذه الدولة الصغيرة للتكنولوجيا وإدارة مساجد البلاد السبعين بأسلوب جديد. في تصريح لرويترز قال زكريا بوانج المتحدث باسم المجلس الإسلامي في سنغافورة: (إننا ننفذ ما تريده الطائفة الإسلامية، أصبحوا أعلى صوتاً وأوسع ثقافة وأكثر مطالباً، وإذا لم نستجب سنخلف). ويرعى المجلس الشؤون الدينية لنحو ٣٧٢ ألف مسلم في سنغافورة من أعراق مختلفة يشكلون نحو ١٥ % من السكان. ورغم أنه لا توجد تعليمات حكومية بأن تكون خطبة الجمعة واحدة في كل المساجد فإن المجلس مكلف بكتابة الخطب. ويقوم المجلس الذي أنشئ عام ١٩٦٨م باستخدام الكمبيوتر وسيلة الاتصال الرئيسية بين المجلس ومساجد سنغافورة التي يتزايد عددها وتستخدم الكمبيوتر وتم ربطها بشبكة المجلس الإلكترونية الواسعة.

أخبار الطب والعلوم

البندق يكافح السرطان

اكتشف وجود مادة كيميائية مكافحة للسرطان في البندق، حسب ما أعلن العلماء في جامعة بورتلاند في أوريغون. وهذا قد يسهم في خفض أسعار أدوية السرطان وتوفيرها بشكل أوسع للمحتاجين إليها. في السابق، كانت تستخرج مادة Paclitaxel التي تُسوّق تحت اسم Taxol من لحاء شجرة الطقسوس

النادرة من منطقة المحيط الهادئ. والخضوع لدورة علاجية يمكن أن تُكلف ١٠ آلاف دولار، تخفض معدل الوفيات من سرطان الثدي بعد العلاج الكيميائي بنسبة ٢٦%. لكن اكتشاف مادة Paclitaxel في البندق قد يؤدي إلى صناعة أدوية أرخص بكثير لعلاج السرطان. كما يساعد Taxol في علاج الصُداف وداء الكلى والتصلب المتعدد في الجهاز العصبي وداء الزهايمر. ويؤمل أن تبدأ الاختبارات السريرية على الأدوية الجديدة والأرخص خلال السنتين المقبلتين.

ملصق للأغذية المعدلة

بدءاً من شهر تموز (يوليو) ٢٠٠١ سيصبح إلزامياً وضع ملصق على كل أنواع الأغذية المعدلة جينياً في كل من أستراليا ونيوزيلندا. وستحقق قوانين الملصقات الجديدة تقارباً بين البلدين وموقف الاتحاد الأوروبي. لكن هذا الإجراء لن يطبق على الطعام المباع في المطاعم، وعلى مستويات التلوث المنخفضة وعلى الأغذية العالية التكرير مثل الزيوت. وقد رفضت محاولة من رئيس الوزراء الأسترالي جون هارود لإعفاء الأغذية التي تحتوي على أقل من ١% من المواد المعدلة جينياً.

١٠% من سكان العالم مجانيين

كشف تقرير لمنظمة الصحة العالمية أن ما بين ٧% وحتى ١٠% من سكان العالم يعانون من الاضطرابات العقلية أي ما يقرب من خمسمائة مليون فرد. وأوضح التقرير أن ٨٠% من هؤلاء المصابين يعيشون في الدول النامية. وأشار إلى أن منظمة الصحة العالمية تضع حالياً عدداً من الخطط الاستراتيجية والبرامج الصحية في محاولة للحد من انتشار الأمراض العقلية ومن بينها نشر برامج للتوعية الصحية وتوفير الرعاية والعقاقير الطبية اللازمة.

مزاج

نشرت صحيفة (اريتز زايتونج) الألمانية الطبية تفاصيل بحث أجرته خبيرة العلاج بالغذاء البريطانية (أماندا جيرري) التي تقول أن أطعمة معينة منها أسماك التونة والسلمون فضلاً عن اليقطين والجوز تساعد أكثر من غيرها على تحسين الحالة المزاجية.